مشاهدات الأزهري في شرقي الجزيرة العربية
قراءة تاريخية في معجم لغوي

د / عبد الرحمن بن علي السنيدي

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مشاهدات الأزهري الهروي في شرقي الجزيرة العربية والأزهري أحد علماء هراة في القرن الرابع الهجري وقع في أسر القرامطة عام ٣١٢ هـ وبعد ذلك مكث مدة من الزمن في شرقي الجزيرة العربية وقد تضمن كتابه "تهذيب اللغة " مشاهدات وإفادات من تلك المنطقة ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية وجغرافية كما تضمنت تلك المشاهدات معلومات ذات مساس ببعض فئات السكان في المنطقة .

ويتكون البحث من المقدمة ثم ترجمة لحياة الأزهري واستعراض لبعض آثاره .. ثم يلي ذلك فقرة بعنوان "الأزهري في شرقي الجزيرة العربية " .

وبعد ذلك تقوم هذه الدراسة بقراءة ما دونه الأزهري من مشاهدات في المراكز الزراعية التي أقام بها ومرابع البادية التي تجول فيها مع العرب، وأبرز تلك المرابع الدهناء والصَّمّان .

كما سيتم التعرض لأبرز ما دونه الأزهري عن مجتمع البادية الذي عاش في كنفه ثم تناقش الدراسة مسألة ما إذا كان الأزهري قد دون معلومات عن الواقع السياسي في تلك المنطقة من واقع مشاهداته .

مقدمة:

هناك نوعية من المصادر التاريخية المساعدة تحوي نصوصا ومواد ذات مضامين تاريخية تتناول في مجملها إفادات عن بعض المناطق متضمنة معلومات تاريخية وحضارية .

ولعل من أبرز تلك المصادر التي تتضمن مثل تلك النصوص والمواد التي تهم الباحث في تاريخ منطقة شرقي الجزيرة العربية في أوائل القرن الرابع الهجري، كتاب تهذيب اللغة، لمؤلفه العلامة الأزهري الهروي الذي عاش مدة من الزمن في شرقي الجزيرة العربية حيث أقام في وادي الستارين وادي المياه كما سيمر بنا لاحقا - وفي الصمان وتنقل في أرجاء الدَّهناء ..

وتقتضي المنهجية العلمية الإشارة إلى ما كتبه الباحثون والدارسون من دراسات عن الأزهري العلامة اللغوي، فمن الطبيعي أن ينال الأزهري قدرا من الاهتمام والاحتفاء، فهناك دراسات قيمةً تناولت الأزهري بوصفه لغويا وباعتبار كتابه تهذيب اللغة موسوعة لغوية ومعجما عربيا زاخراً بالمصطلحات والألفاظ العربية، ومن تلك الدراسات دراسة رشيد عبد الرحمن العبيدي وعنوانها : الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، رسالة دكتوراه غير منشورة، عن قسم اللغة العربية،كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٧٣ م) ودراسة محمد إبراهيم المرشد . المسائل النحوية في تهذيب اللغة للأزهري، رسالة ماجستير غير منشورة من قسم النحو والصرف، كلية اللغة العربية،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(١٤١١ - ١٤١٢ هـ) .

وهناك دراسات عن الأزهري جاءت في إطار أعمال عامة ومن تلك الدراسات التي لمست الجانب التاريخي والجغرافي عند الأزهري ما كتبه علامة الجزيرة (حمد الجاسر) رحمه الله -عن الأزهري في معجمه (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية " المنطقة الشرقية ص١٧-٢٢ تحت عنوان (هذه البلاد) أي المنطقة الشرقية " . في المؤلفات التاريخية) حيث تناول أولا الحفصي اليمامي ثم اتبعه بالحديث عن الأزهري، مشيرا إلى ما يَضُمه كتابه (تهذيب اللغة) من معلومات قيمة، وإشارات إلى التكوينات القبلية في المنطقة وأنواع النبات والبيئة الحيوانية، [(١)] ولم ينظر العلامة الجاسر إلى الأزهري علي أنه مجرد معرف بالأماكن والمواضع وإنما تلمس في تراثه جوانب أخرى تؤكد مصدريته التاريخية، لافتاً بذلك نظر الباحثين إلى ما يضمه معجم تهذيب اللغة من مواد تاريخية وجغرافية وتأتي هذه الدراسة لتستفيد مما كُتب عن الأزهري وعن معجمه قديما وحديثا بحسب حاجة البحث وفي إطار ضوابطه الموضوعية والمنهجية، وبما أن

الجوانب التاريخية والحضارية والجغرافية في المعجم المشار إليه كثيرة وواسعة وجديرة بدراسة مفصلة، فقد رأى الباحث أن تركز الدراسة علي إحدى زوايا المواد التاريخية التي يحفل بها معجم تهذيب اللغة وهي مشاهدات الأزهري وأفاداته كشاهد عيان أثناء إقامته في شرقي الجزيرة العربية بمضامينها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية .

وبناءاً على المادة العلمية التي جمعها الباحث وطبيعة البحث وضوابطه العلمية فإن البحث يضم العناصر والفقرات التالية :

مقدمة الأزهري وتهذيب اللغة، مشاهدات الأزهري، مشاهدات الأزهري في المراكز الزراعية وموارد المياه، مشاهداته في الدَّهَنَاءُ والصمان، مشاهدات عن مجتمع البادية، مشاهدات الأزهري السياسة، الخاتمة .

الأزهري و تهذيب اللغة

بادي ذي بدء لابد أن نبين أن أبا منصور محمد بن أحمد الأزهر بن طلحة الهروي الشافعي ليس منسوبا إلى الأزهر الفاطمي بل إلى جده كما هو واضح من سياق نسبة [٢].

وبحكم كون الأزهري (٢٨٢-٣٧٠ هـ) من مشاهير علماء اللغة والفقه في المشرق الإسلامي، وبحكم أنَّه قدم في محيط الدراسات اللغوية، عملاً متميزا عُد من أمهات كتب اللغة العربية ومن أوثق معجماتها [٣] وأكثرها استيعابا[٤] فلا غرابة والحال ما ذكرنا أن يترجم له كتاب التراجم والطبقات كما كتب عنه وعن حياته العديد من الدارسين والباحثين [٥].

ولذلك سوف نكتفي بتعريف موجز عن الأزهري، كمقدمة بين يدي الموضوع الذي سوف نتناوله .

ولد الأزهري عام ٢٨٢ هـ في هراة [٦] إحدى مدن خراسان التي شهدت قدراً من النشاط العلمي في القرن الرابع الهجري في ظل الحكم الساماني، ولابد أن ذلك الجو العلمي قد ترك أثره على الأزهري ابن هراة وعلى أمثاله من أبناء المدينة ممن عرفوا بالجد في الطلب والمثابرة علي التحصيل،يذكر ابن خلكان أن الأزهري بدأ حياته العلمية بالنظر في فقه الإمام الشافعي ثم غلبت عليه اللغة فاشتهر بها [٧]، ويبدو أن طلبه لعلوم اللغة لم يتأخر بل أنه اشتغل بتلك العلوم منذ صباه وحداثته نفهم ذلك مما أورده في مقدمة كتابة تهذيب اللغة [٨] .

وتتلمذ الأزهري على عدد من العلماء في هراة كأبي الفضل المنذري (ت ٣٢٩ هـ) [٩] والذي يذكر ابن خلكان انه روى عنه قبل دخوله بغداد،ومثل الحسن بن إدريس (ت٣٠١هـ)[١٠] .

ثم سافر بعد ذلك إلي أرض العراق في شبيبته [11] وأخذ عن عدد من العلماء واللغويين، مثل الزجاج النحوي (ت ٣١١ هـ) العالم المحدث أبو القاسم البغوي (ت ٣١٧ هـ) وإبراهيم بن عرفه نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) [١٢] .

خرج للحج متحملاً مشاق الطريق ومخاطرة، وفي طريق العودة من الحج عام ٣١١ هـ [١٣]وقع في أسر جيش القرامطة بقيادة أبي طاهر الجنابي في محرم سنة ٣١٢ هـ كما سيمر بنا وآل أمره إلى أعراب مؤيدين للقرامطة ثم انتقل بعد ذلك للعيش بين العرب في وادي الستارين والدهناء والصمان وسيأتي مزيد إيضاح لذلك وبعد أن خرج الأزهري من الجزيرة العربية دخل بغداد مرة ثانية ثم انتقل إلى المشرق وحط رحالة في مدينة هراة [١٤]، ليواصل مسيرة التدريس والتأليف وبعد حياة حافلة بالإنتـاج والعطاء، توفي الأزهري في هراة عام (٣٧٠ هـ) [١٥] وقيل عام (٣٧١ هـ)[١٦] مخلفا وراءه مجموعة من الآثار العلمية من أهمها وأشهرها كتاب " تهذيب اللغة " خرج محققا في (١٥) جزءا علي يد مجموعة من المحققين أبرزهم عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، ثم اخرج رشيد العبيدي مستدركاً على الأجزاء السابع والثامن والتاسع [١٧]، ثم اخرج عبد السلام هارون فهرسا للكتاب[١٨] ..

ومما طبع من كتب الأزهري : الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي[١٩] "والقراءات وعلل النحويين فيها "[٢٠]، "ومعاني القراءات "[٢١] وللأزهري آثار أخرى لم ترى النور بعد، منها المخطوط ومنها المفقود .

ويعد كتاب الأزهري "تهذيب اللغة " من أبرز معاجم اللغة العربية يقول عنة ابن منظور (٧١١هـ):

لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة للأزهري ولا أكمل من المحكم لابن سيدَة[٢٢] وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق [٢٣].

سار الأزهري في كتابة التهذيب علي منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين حيث رتب المواد اللغوية والألفاظ التي جمعها على حسب مخارج الحروف .. ورأى أن ذلك

الترتيب الصوتي هو الترتيب العلمي والطبيعي متجاوزاً بذلك الترتيب الأبجدي(٢٤) وقد فاق كتاب العين بالزيادة والإكثار فجاءت مادته اللغوية واسعة وغزيرة (٢٥) و لقد حظي الكتاب بدراسات كثيرة أبرزت الجوانب اللغوية والنحوية كما أبرزت الطابع الموسوعي له . (٢٦)

ومن مظاهر موسوعية الكتاب غناه بالمواد والنصوص التاريخية والجغرافية، ومن أبرز ما يجلي أهمية تلك النصوص التاريخية،مشاهداته بمضامينها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية (وهي ما سوف نتطرق إليها لاحقاً باعتبارها محور هذه الدراسة) و يذكر (عبد السلام هارون) أنه بالإضافة إلى القدر الهائل من المادة اللغوية التي يحويها محاولا بها تفسير ألفاظ الكتاب .. نجد عنده ظاهرة خاصة هي عنايته بالناحية البلدانية التي استوعب بها التعريف بالكثير من بلدان الجزيرة العربية وهو اتجاه مبكر علي نطاق واسع في التأليف المعجمي(٢٧)، لقد عني الأزهري بالبلدان والمواضع والأمكنة في الجزيرة العربية و بخاصة جزؤها الشرقي مما جعل منة مصدرا أساسيا عند كثير من أصحاب المعاجم الجغرافية عند تناولهم للأمكنة والمعالم الجغرافية في شرقي الجزيرة العربية.

وفي إطار استفادة هذه المعاجم من الأزهري في كتابه تهذيب اللغة استوعبت هذه المصادر مادونه الأزهري من مشاهدات في شرقي الجزيرة العربية، عند التعريف بقرى وادي الستار ين والدهناء والصمان، وفي مقدمة المصادر الجغرافية التي استفادت من كتاب الأزهري كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، قد يكون الأزهري مصدراً ثانوياً عند ياقوت عندما يتناول الأماكن البعيدة عن شرقي الجزيرة العربية إلا أن هذا المصدر الهام يظهر كأحد المصادر الأساسية لياقوت في معجمه، عندما يتناول معالم جغرافية في شرقي الجزيرة (٢٨)، حيث شملت اقتباسات ياقوت جوانب من مشاهدات الأزهري وتجاربه وهو يتجول بين مراكز البادية (٢٩).

الأزهري في شرقي الجزيرة العربية :

سوف نتناول الأماكن والمواقع التي أقام بها الأزهري في الجزيرة العربية، كما جاء في كتابة تهذيب اللغة .. والتي كانت مجال مشاهداته وإفاداته ويقتضي منا ذلك تتبع رحلة الأزهري بعد عودته من حج عام ٣١١ هـ، وإيضاح كيفية انتقاله إلى شرقي الجزيرة العربية وملابسات ذلك الانتقال .

مر بنا أن الأزهري، خرج حاجاً مع قوافل الحج المشرقية وبعد إتمام حجة عام ٣١١ هـ قفل راجعا عبر طريق مكة الكوفة، وفي حين كان هؤلاء الحجاج العراقيون والمشارقة يملؤهم الفرح لقضاء نسكهم والشوق والحنين إلى أوطانهم كان أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي[٣٠]يتربص بأولئك العائدين في الـهَبير[٣١]، مجنداً العديد من أبناء القبائل ذوي التروع إلى الغارة والغزو، وتذكر المصادر أن أبا طاهر القرمطي أوقع أولاً بقافلة تقدمت معظم الحاج فنهبهم ولما بلغ ذلك بقية الحاج وهم بفيد أقاموا بها حتى فني زادهم فارتحلوا مسرعين وساروا على طريق الكوفة بعد أن رفضوا فكرة العدول عن هذا الطريق والمسير إلى وادي القرى، وهكذا سارت القافلة عبر طريق الكوفة مما عرضها لعدوان القرامطة والأعراب المتحالفين معهم فأسر كبار قادة القافلة [٣٢] وغنم القرامطة جمال الحجاج وما أرادوه من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان، وأسر العديد من وجوه الناس وسائر طبقاتهم، وقد وقعت هذه الحادثة في محرم سنة ٣١٢هـ[٣٣]، وكان الأزهري من بين الضحايا الذي أوقع بهم في الـهَبِير، ويبدو أنه عند اقتسام هؤلاء الأسرى وقع الأزهري في سهم فئة من العرب المؤيدين للقرامطة .

وقد أشار الأزهري وفي أكثر من موضع من كتابه تهذيب اللغة إشارات سريعة إلى أسره كما في المقدمة، وإلى إقامته بين العرب سُنَّيات [٣٤]، وإلى قطعة أرض " الدَّوُّ"[٣٥] مع القرامطة وروده حفر أبي موسى معهم [٣٦]، وإقامته قيظة في بيضاء بني حذيمة مع أولئك القرامطة [٣٧]، كما أشار إلى إقامته في رمال بني سعد طويلاً[٣٨] وتنقله بين وادي الستارين والدهناء والصمان[٣٩] وأشار بشكل خاص إلى إقامته شتوتين في أرض الصمان [٤٠] .. وهذه الحقائق التي يوردها الأزهري عن إقامته في هذه المناطق المذكورة بحاجة إلى قراءة تستهدف تحديد المناطق أو المراكز والبوادي التي ظل الأزهري ينتقل بينها وكذلك تحديد الأقوام والفصائل القبلية التي عاش بينها ..

مر بنا أنه وقع في الهبير في سهم فئة من العرب، أغلبهم من (هوزان) وذكر أن معهم أصراماً من تميم وأسد[٤١]، ونفهم أنه يشير إلى المرحلة الأولى من الأسر ولابد أنه يقصد فصائل من قبيلة هوزان الذين عرفوا بتعاونهم مع القرامطة منذ تأسيس دولتهم كبني عَقيل وبني الحُرَيْش وبني كِلاب وهؤلاء عامريون هوازانيون[٤٢]، ويبدو أن هؤلاء يشكلون فرقة تعمل تحت مظلة القرامطة ليست منفصلة عنها بدليل أنه بعد أسره في الهبير ظل مع القرامطة كما يفهم من قوله .

وقد قطعت الدو مع القرامطة أبادهم الله وكانت مطرقهم قافلين من الهبير فسقوا ظهرهم بحفر أبي موسى فاستقوا وفوزوا بالدو ووردوا صبيحة خامسة ماء يقال له ثَبُرة [٤٣]، (وهي آبار تقع شرق الصمان)، وقد أقام الأزهري قيظة[٤٤] مع القرامطة في بيضاء بني جذيمة[٤٥] وهم من قبيلة عبد القيس، ويرجح أن يكون الأزهري قد عمل في ظل القرامطة فترة، إما في المزارع التي يملكها القرامطة أو من يؤيدهم من الفصائل القبلية، أو في عمارة الأبنية التي أشادوها، حيث تذكر بعض المصادر أن القرامطة أقبلوا على إصلاح أرض المزارع ونصبوا الأمناء على ذلك[٤٦]، يذكر الهمذاني أن من وقع في أسرهم في عهد أبي طاهر الجنابي قد استعبدوهم بالعمارة[٤٧] .

أخذ الأزهري بعد ذلك في التنقل والتجوال بين مناطق وادي الستارين وهي من منازل السعديين التميميين، وبين رمال الدهناء وهضبة الصمان التي أقام بها شتوتين[٤٨]، وذلك تبعاً لدوره التجوال البدوي خلال مواسم السنة المختلفة، وبوسعنا أن نكتشف في كتاب تهذيب اللغة العديد من الأماكن التي صرح الأزهري بنزوله بها ومشاهدته إياها ومعظم هذه الأماكن مما يقع في نطاق المناطق الثلاث التي مر ذكرها أو بجوارها .. ومن هذه الأماكن ما يلي:

أَحْسَاء بني سعد[٤٩]، الأَمْغَر[٥٠]، بُثَاء[٥١]، ثَبره[٥٢]، ثَرْمَدَاء[٥٣] (وهي ماء لبني سعد في وادي السِّتَّارين) حَفْرُ أبي موسى[٥٤]، الحَنَّاءَتان[٥٥]، حَنيْذ[٥٦]، الحَوَمَانة[٥٧]، الخلصاء[٥٨]، خَيْقَمانَة[٥٩]، الدَّو[٦٠]، السوده[٦١]، العَرَمَة[٦٢]، عين مُحَلِّم [٦٣]، عَيْنَيْن[٦٤]، فَوَارِس[٦٥]، لَصَاف[٦٦]، مَاوِيّة[٦٧]، نَطَاع[٦٨]، يَنْسُوعَة [٦٩].

تلك الأماكن وغيرها صرح الأزهري، برؤيته لها أو نزوله بها وشربه من مائها، أما ما عرف به من الأماكن فكثير ومنها ما ذكر أنه معروف[٧٠] ولسنا نعلم على وجه اليقين هل عرفه بحكم الإقامة والمرور أم أن هناك من أخبره عن تلك المواضع .

وعلى أي حال فلعله بان لنا أبرز ميادين مشاهدات الأزهري والمناطق التي نزل بها في الجزيرة العربية بما فيها الصمان والدهناء والدراسة وإن تحددت جغرافياً بشرقي الجزيرة العربية فلا يعني ذلك أننا نغفل ميادين أخرى سجل منها الأزهري مشاهداته وإفاداته كالبوادي المحيطة بطريق الحج العراقي كبوادي أسد وسليم وفزارة[٧١]. ويظهر لنا أن معظم الأماكن التي أقام بها الأزهري في وادي الستارين والدهناء والصمان عائدة لبني تميم خاصة بني زيد مناه بن تميم الذين امتدت ديارهم من يبرين إلى الإحساء إلى سفوان (جنوب العراق) كما جاء عند أحد البلدانيين

في القرن الثالث الهجري(٧٢) .

لقد أشار الأزهري إلى أنه أقام في ديار بني سعد دهراً(٧٣) ويستطيع الدارس .. أن يلمس أثر هذه الإقامة في ديار بني سعد حيث روى عنهم بكثرة .. وعن التميميين (بشكل عام) بدرجة فاقت القبائل الأخرى في شرقي الجزيرة ووسطها(٧٤).. كما أورد مآثر لبني سعد بن زيد .. حيث أشار إلى كثرتهم العديدة(٧٥) قياساً ببعض القبائل وذكر أنهم كانوا يلقبون " بدوسر"(٧٦) في إشارة على ما يبدو إلى شدة شوكتهم وفروسيتهم .

إن تنقل الأزهري في ديار بني سعد، يجعلنا نميل إلى القول بأنه قد انتقل .. للعيش في كنف هذه القبيلة ومن ثم شاركهم في تجوالهم الموسمي بين الدهناء والصمان ووادي الستارين، ويبدو أن هؤلاء العرب الذين مَلَكوا أمره أحسنوا معاملته فأصبح جزءاً منهم وقد أشار القفطي (ت ٦٢٤ هـ) إلى أنه مارس رعي الإبل(٧٧)، وفي ثنايا كتابه ترد معلوماتٌ يُفهم منها أن الرجل شارك في أعمال كثيرة فلاحية ورعوية مثل خَرْف النخل(٧٨) وحلبَ النياق(٧٩)، ودخول دُحُول الدهناء لأخذ الماء منها(٨٠)، كما يفهم من بعض إفاداته أنه كتب لبعض الأعراب(٨١)، والاستفادة منه في هذا الجانب أمر متوقع في بيئة يغلب عليها الجهل والأمية، والذي يدل عليه كل ذلك أن الرجل لم يكن بين هؤلاء العرب الذين آل إليهم أمره بالأسير المحبوس بل هو مشارك ومنخرط في الأعمال التي تتطلبها الحياة البدوية، وهي أعمال تقوم في الغالب على التعاون والجهد الجماعي، وقراءة بعض النصوص التي يوردها الأزهري عن مقامه بالبادية تظهر لنا أنه استخدم من الألفاظ ما يدل على جماعية العمل ومشاركتـــه فيه. كقوله "كنا نسير في جبال الدهناء(٨٢) " وقوله " فاستقيت أنا مع أصحابي من مائه(٨٣) " .

ولئن ورد عن الأزهري بعض الإشارات التي تتضمن مشاركته في هذا العمل أو ذاك فثمة جوانب من أحواله وأخباره في مرحلة إقامته تظل في دائرة عدم الوضوح ويلفت النظر ما ورد عنده في مادة " نَعَجَ " حيث يذكر الأزهري أن أعرابياً نظر إليه وكان عهده به أنه ساهم الوجه، ثم رآه وقد ثابت إليه نفسه فقال له : نَعجْتَ أبا فلان بعد ما رأيتك كالسعف اليابس أراد صلحت وسمنت(٨٤) فهل يوحي ذلك بأنه واجه بعض المتاعب والمشكلات الصحية التي أثرت على جسمه فأدى ذلك به إلى الهزال والشحوب فأصبح ساهم الوجه مهزول الجسم كالسَّعف اليابس، هذا ما نفهمه من النص المذكور .

وعلى أي حال يبدو أن أجواء التنقل والتجوال بين الستارين والدهناء والصمان، و دخول الأزهري بيئة تقوم فيها الحياة على الجهد الجماعي والتعاون مما خفف عنه معاناة الغربة والبعد عن الدار، وهيأ له المجال لكي يراقب عن قرب منطق أولئك الأعراب الفصحاء ويسجل ويدون ألفاظاً نطقوا بها ويتحقق من فصاحة هذا اللفظ وذاك .

وإذا كان أبو منصور الأزهري . لم يخف مرارته من القرامطة الذين اقتادوه إلى الأسر حيث دعا بأن يبيدهم الله[٨٥]، فإننا نلحظ أن الأزهري لم يستخدم أي عبارات ساخرة أو متندرة في الأعراب الذين عاش معهم (كما هو الحال في بعض المصادر الأدبية واللغوية) [٨٦]، كما لم يؤثر أسره ثم مكثه في البادية في ظل أولئك الأعراب على قناعاته العلمية، و لم يجعله ذلك الأسر يعيد النظر في أساسيات منهجه اللغوي القائم على اعتبار البادية المعزولة عن أي تأثيرات حضارية منبع القول الفصيح ومصدر اللغة السليمة .

هذا ولابد من طرق مسألتين لم يوضحهما أبو منصور الأزهري في كتابه التهذيب كما لم توضحهما المصادر المترجمة له هاتان المسألتان هما :

مدة إقامة الأزهري في شرقي الجزيرة، وكيف انتهت هذه الإقامة التي دخلها الأزهري من بوابة الأسر ؟ وكيف غادر الصمان والدهناء وواحات الإحساء ؟

لم يوضح الأزهري كما مر بنا مدة إقامته . واستخدم عبارات غير محددة، ففي مقدمة التهذيب يذكر أنه أقام بين ظهراني العرب " سنيات "[٨٧] ثم يذكر بعد ذلك أنه بقي في " أسارهم دهراً طويلاً "[٨٨]، وفي ثنايا كتابه يذكر في أنه أقام في رمال بني سعد دهراً، كما يذكر في موضع آخر أنه أقام بالصمان شتوتين[٨٩] وإزاء هذه النصوص الواردة عند الأزهري والتي تتعلق بمقدار مدة إقامته علينا أن نضع بعين الاعتبار ما يلي :

١- استخدم الأزهري في مقدمته لغة خطابية ليؤكد لقارئه قوة منهجه القائم على الأخذ من عرب البادية . وقد لاحظ بعض الدارسين أن الأزهري جنح إلى المغالاة في الاعتزاز بنفسه[٩٠] ولعل ذلك من آثار هذه اللغة الخطابية .

٢- هذه اللغة الخطابية حدت به إلى إبهام المدة التي قضاها بين العرب والقرامطة . وعوضاً عن ذلك أراد الأزهري أن يظهر صبره الطويل والمشقة التي تكبدها في سبيل جمع ما جمع فذكر " أنه امتحن بالأسار وأنه بقي في أسرهم دهراً طويلاً [٩١] كما أراد في مقام آخر

إظهار تَحَبُّبِه وشوقه[٩٢] إلى تلك السنوات التي قضاها بين العرب فوصفها بأنها " سنيات " وذلك يتجلى في قوله " وأقمت بين ظهرانيهم (العرب) سنيات "[٩٣] .

وهكذا اختلف تقديره للمدة التي قضاها بين العرب باختلاف الغرض الذي يريد إيصاله إلى سامعه .

ولعل تلك النبرة الخطابية دفعت – حمد الجاسر – إلى تجاوز ما ورد في مقدمة الأزهري من إشارات غير محددة عن طول مدة الأسر ودهريته . فاعتمد على ما ورد في ثنايا كتابه من أنه أقام بالصمان شتوتين فرأى أن مقامه بين القرامطة والعرب يقارب سنتين من الزمان[٩٤] .

ويرى أحمد عبد الغفور عطار أن الأزهري أقام في شرقي الجزيرة العربية أكثر من خمسة عشر عاماً[٩٥] وهو قول لا دليل عليه .. ويظهر أن الأزهري أقام مدة تزيد عن السنتين وتقل عن العشر سنوات باعتبار أنه أشار أنه قيد نكتاً عن (أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات[٩٦]).

وإذا كان الأزهري لم يفصح عن مدة إقامته في شرقي الجزيرة واكتفى بكلمات وإشارات ذات مدلول واسع . فإن الباحث لا يجد ما يدل على كيفية نهاية مطاف هذه الإقامة ؛ هل تمكن من اللحاق بقوافل الحج وهي تمر في المحطات والمنازل غرب الدهناء ؟ أم غادر البحرين عن طريق البصرة إلى بغداد إذ تذكر بعض المصادر أنه لما تخلص دخل بغداد[٩٧] .

وعلى أي حال فإن إقامة الأزهري في شرقي الجزيرة العربية كان مردودوها العلمي والمعرفي كبيراً، تجلى ذلك في مشاهداته التي دونها في كتابه تهذيب اللغة كما سيمر بنا .

مشاهدات الأزهري :

نعني بالمشاهدات في هذه الدراسة تلك المواد والنصوص التي يوردها الأزهري مصدره بعبارات يفهم منها أنه يحكي واقعاً رآه أو مشهداً وقف على جوانبه وعاينه، ومعظم ما أورده بهذه الطريقة ينتمي من الناحية المكانية إلى مناطق في شرقي الجزيرة العربية والهضاب والرمال الواقعة إلى الغرب منها، ومن نماذج ما أورده بهذا الأسلوب ما يلي :

وقد رأيت بوادي الستارين من ديار بني سعد[٩٨] .

ورأيتهم بالإحساء[٩٩] .

ورأيت بناحية الصمان[١٠٠] .

ورأيت بالخلصاء[١٠١] .

ورأيت بالبيضاء[١٠٢] .

وكنا إذا ظعنا نسير في جبال الدهناء[١٠٣] .

وكنا بناحية البحرين إذا حللنا بالأسياف وهبت الصبا بحرية[١٠٤] .

وهذه الإفادات من جانب الأزهري ببعدها المكاني وإطارها التاريخي واضحاً ومحدداً لا جدال في أهميتها التاريخية والحضارية، ولا جدال في شدة الحاجة إليها عند تدوين تاريخ هذه المناطق من شبه الجزيرة العربية ذلك أن تلك المواد التي جاءت نتيجة مشاهدات الأزهري وتجواله بين الواحات والبوادي، في وادي الستارين والدهناء والصمان، ترفد الدراسات التاريخية التي تتناول شرقي الجزيرة العربية في عصر الأزهري بحقائق ومعلومات يميزها أنها صادرة من شاهد عيان، إضافة إلى ذلك فإن في هذه المواد مشاهدات تتناول جوانب من تاريخ المنطقة الاجتماعي والاقتصادي لم تحظ بالاهتمام من المصادر الأخرى .

ولقد جاءت مواد المشاهدات موزعة علي أبواب الكتاب بشكل متناثر تبرز أحيانا في بعض الأبواب وتنعدم في أبواب أخرى، تأتى لدعم وجهة نظر رآها أو للتعقيب علي رأى من الآراء ونحو ذلك من المقاصد والأغراض،يؤكد الأزهري علي أهمية المشاهدة والتي تعني مشاهدة القوم (العرب)في بيئاتهم ومصاحباتهم وسماع ما يقولون وربما عرض ببعض الرواة واللغويين ممن لم يعول على المشاهدة، فيرى أن ما أثبته كثير من أئمة اللغة لا ينوب مناب المشاهدة ولا يقوم مقام الدربة والعادة[١٠٥]، وينعي على الرواة تخبطهم في تفسير أحد الأبيات الشعرية نظراً لأنهم لم يعرفوا منه ما يعرفه من شاهد القوم في باديتهم[١٠٦]، كما يوضح أثر المشاهدة في إعطاء التفسير الصحيح للأدوات والظواهر السائدة في البيئات العربية، يقول وهو يفسر " واسِطِ الرَّحْل " : " إنما يعرف هذا من شاهد العرب ومارس شَدَّ الرِّحال على الرَّواحل فأما من يفَسر كلام العرب على قياسات خواطر الوهم فإن خطأه يكثر[١٠٧] .

وعندما يؤكد الأزهري على أهمية المشاهدة كقاعدة منهجية، فإنه يتوافق مـــع آراء طائفـــة من المؤرخين والجغرافيين المعاصرين له كالمسعودي (ت ٣٤٦هـــ) والبشاري المقدسي

(ت ٣٨٠ هـ) مع فارق الاهتمامات والمقاصد يؤكد المسعودي على عنصر المشاهدة . فيثني على الصولي، لأنه دون أشياء رآها بنفسه [١٠٨] ويذكر عن الجاحظ أنه لم يسلك البحار ولا أكثر الأسفار ولا تقرى المسالك، وإنما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين [١٠٩]، ويقول " ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار في إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع إيامه بين تقاذف الأسفار[١١٠].

ويوضح المقدسي أن ما جمعه من مواد تاريخية وجغرافية عن البلدان التي تعرض لها إنما جاء بعد جولاته في البلدان ودخوله أقاليم الإسلام، مبرزاُ قيمة الرحلة والتجوال في جمع مواده، ويرى بعض الباحثين أنه بذلك قد أكد على أهمية المعاينة الشخصية عن طريق الملاحظة المباشرة [١١١].

يلتقي الأزهري مع هؤلاء المؤرخين في التأكيد على أهمية المشاهدة ومع أن أغراضه وغاياته لا تخرج عن دائرة الجمع اللغوي والبحث عن الألفاظ الفصيحة، إلا أن مشاهدات الأزهري قد حوت مواد تاريخية وحضارية ترقى إلى أعمال الرحالة والجغرافيين الوصفيين وربما كان من مميزات مشاهدات الأزهري أنها جاءت مركزة على مناطق بعينها .. ومعلوم أن من عاصر الأزهري من الجغرافيين والرحالة كابن حوقل، والبشاري المقدسي لم يُعرجوا في كتبهم إلا على وصف مواضع قليلة في شرقي الجزيرة العربية .

وللوقوف على أهمية مشاهدات الأزهري فإنه لابد من معرفة مضامين تلك المشاهدات وطبيعة موادها . والمستعرض لهذه المشاهدات التي دونها الأزهري يمكنه القول بأنها تتوزع على النحو التالي :

- مشاهدات في المراكز الزراعية وموارد المياه
- مشاهدات من الدهناء والصمان .
- مشاهدات عن مجتمع البادية .

وفي الصفحات الآتية استعراض لهذه المشاهدات وفقاً للتوزيع المشار إليه:

مشاهدات الأزهري في المراكز الزراعية وموارد المياه :

سجل الأزهري بعضاً من مشاهداته في مناطق ومراكز عرفت بإنتاجها الزراعي ومن تلك المناطق ما ازدهرت فيه زراعة النخيل مثل قرى وادي الستارين المشهورة بمياهها ونخيلها، ويبدو أن بطوناً من قبيلة بني سعد بن زيد مناه ابن تميم تسيطر على تلك المياه .. إذ يعدها الأزهري

من ديارها وأراضيها، كما يتضح ذلك في عدد من النصوص منها :

" رأيت بوادي الستارين من ديار بني سعد عين ماء عليه نخل زين عامر وقصور من قصور مياه العرب يقال لذلك الماء حنيذ وكان نشيله حاراً فإذا حقن في السقاء وعلق في الهواء حتى تضربه الرياح عذب وطاب " [١١٢]

" ورأيت في ديار بني سعد بالستارين عين ماء تسقى نخيلها يقال له بُثَاء" [١١٣] .

" ورأيت في بلاد بني سعد ابن زيد مناة رملة يقال لها غَزَّة وفيها أحساء جمة ونخل بعل "[١١٤] .

وكذلك ففي زمن الأزهري اشتهرت بيضاء [١١٥]بني جذيمة (من قبيلة عبد القيس) بوفرة مياهها ونخيلها ومما قاله في وصفها : " فيها نخيل كثيرة وإحساء عذبة وآطام جمة وقد أقمت بها مع القرامطة قيظة " ويقول في موضع آخر " رأيت بناحية البيضاء من بلاد بني جُذيمة عبد القيس نخلاً كثيراً عروقها راسخة في الماء وهي مستغنية عن السقي "[١١٦] ويلفت نظر الأزهري ما رآه من حرص أهلها على حفظ ثمر النخيل حال الصِّرام، حيث سوى لمن يحفظ ثمر النخيل (عَرَازِيل) فسأل عنها فذكر له أنها مظالُّ النَّواطير[١١٧] وقد أشار الأزهري إلى بعض المواضع والأماكن الزراعية في منطقة بني جذيمة ومنها بلد (خِرْشَاف) [١١٨] وماء كَلْح [١١٩].

ويبدو لنا أن معلومات الأزهري وإشاراته ليس كل ما رآه وقد أجمل في تناوله لهذه المراكز الزراعية، بحكم الضابط التخصصي للكتاب، فليس هناك معلومات عن العاملين بالزراعة ولا عن تأثيرات سيطرة القرامطة على إقليم البحرين على الحياة الزراعية في المنطقة .

ويشير الأزهري إلى أن من النخيل ما هو مستغني عن السقي وعن ماء السماء، وهناك ما يسقى من مياه العيون كعين مُحَلِّم والتي يتخلج نهرها إلى خُلُج كثيرة تسقي نخيل جُواثا وعَسَلَّج وقُريات من قرى هجر[١٢٠]ويورد الأزهري العديد من موارد المياه المهمة التي قامت حولها زراعة النخيل مثل عين حنيذ، وقد رآها بوادي الستارين من ديار بني سعد وعندها نخل زين عامر وقصور من قصور مياه العرب[١٢١] ومثل ماء ثرمداء وهو ماء لبني سعد في وادي الستارين يقول عنه : قد وردته يستقي منه بالعقال لقرب قعره[١٢٢].

وتتضمن إفادات الأزهري عن الآبار (الركايا) [١٢٣]معلومات عن عمق هذه الآبار ومدى غزارة مياهها ومدى عذوبته، فمما أشار إلى عمقه وبعد مياهه حفر أبي موسى(حفر

الباطن الآن) حيث أشار إلى وجود مجموعة من الركايا فيه (مسنوية بعيدة الرِّشاء) [(١٢٤)]، كما يعد ماء ثرمداء (في وادي الستارين) من المياه القريبة القعر، كما مر بنا، ومن الآبار ما هو غزير المياه مثل رُكَيّة شفية [(١٢٥)] ومثل رُكَيّة ثَبْرة وهي غير مَطْوِيَة واسعةً كثيرة الماء [(١٢٦)] وهناك آبار ليس في مائها عذوبة .. حيث يصف ماؤها بأنه شَرُوب [(١٢٧)] مثل، ركايا كاظمة [١٢٨]، وماء الأمغر [(١٢٩)]، ويذكر عن ركية خيقمانة أن في مائها صفرة ولهذا يقول : " أنشدني بعضهم ونحن نستقي منها

كأنَّما نُطْفَةُ خَيَقمانة   صَبِيبُ حنَّاءٍ وزَعفَرَان

وكان ماء هذه الركية أصفر شديد الصفرة [(١٣٠)].

.... ولا تقتصر مصادر المياه التي أشار إليها الأزهري على العيون والآبار فهناك الأَحْسية [(١٣١)] والقَلات [(١٣٢)] والدُّحُول [(١٣٣)] والأودية كوادي الشَّواجن [(١٣٤)] والحوايا التي تمسك ماء السيل فيبقى فيها دهراً [(١٣٥)] ويلحظ في تعاريف الأزهري للمواضع الواقعة في طريق الحج أو طرق التجارة، التركيز على الآبار ومستوى عذوبة المياه فيها [(١٣٦)] ومن الطبيعي أن يلتفت الأزهري إلى ذكر موارد المياه ليس فقط لكونها من المسميات العربية بل ولكونها من العوامل المؤثرة على حركة السكان وتنقلاتهم وتواجدهم بهذا المكان أو ذاك ..

لقد كانت زراعة النخيل هي أهم نشاط زراعي في إحساء بني سعد وبيضاء بني جذيمة وقرى وادي الستارين كما لا تخلو موارد المياه من آبار وأحفار خارج هذه المناطق من أشجار النخيل ولو كانت تلك الآبار والأحفار وسط الصحراء باعتبار ملاءمتها الأجواء الصحراوية ومقاومتها للجفاف وتقلبات المناخ، وبحكم مشاهداته عن كثب وممارسته لفلاحة النخيل [(١٣٧)]، فقد سجل الأزهري في كتابيه " تهذيب اللغة " و " الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي " العديد من الملحوظات الدقيقة المتعلقة بالنخيل من جوانب متعددة فهو يتناول أصناف النخيل وتأبيرها والمراحل التي يمر بها ثمر النخيل وأنواع التمور وأساليب حفظها ويأتي ذلك التناول مبنياً على ملاحظة ومشاهدة وانخراط في بعض الأعمال الفلاحية .

فمن ناحية ري النخيل يوضح الأزهري أن هناك من النخيل ما يسقى بماء الأنهار والعيون الجارية وهو النخيل السَقِيّ أو المَسْقَوِي، وهناك العِذْي وهو ما نبت في الأرض السهلة فإذا مطرت نشفت السهولة ماء المطر فعاشت عروقها بالثرى الباطن تحت الأرض، وهناك من

النخيل ما نبت في أرض بقرب ماؤها الذي خلقه الله تحت الأرض في رقات الأرض ذات النـــز فرسخت عروقها واستغنت عن سقي السماء [١٣٨].

ويوضح المراحل التي يمر بها ثمر النخيل فيذكر أنه يكون أبيضاً عند انشقاق كافوره عنه ثُمَ يَخْضَر ثُمَّ يَصير بلحاً ثم يزهو فَيَصْفَرُ ويحمَّر وهو حينئذ بسر ثم يرطب بعد ذلك ثم يتمر [١٣٩] .

ويثني على تمر التعضوض[١٤٠]ويذكر أنه أكله بالبحرين (فما أعلمني أكلت تمر أحمت[١٤١]حلاوة منه ومنبته هجر وقراها[١٤٢]، وهو ضرب من التمر سَرِي ومن خير تمر هجر أسود عذب الحلاوة[١٤٣]) ويقـــــــــول في موضــــع آخر : " وقد أكلت رُطَب العُمْر ورُطَب التعضوض وخَرَفتها من صغار النخل [١٤٤].

ويذكر أنواعاً رديئة من التمور منها تمر الدّقَل وهو ذو جرم صغير ونواه كبيروالدقلة من مَوَاقِيرْ النخل[١٤٥].. وهناك لون الحُبَيْق وهو أيضاً ضرب من التمر رديء[١٤٦].

ويلفت نظر الأزهري كتر التمر عند البحرانيين، حيث يتخذ من خوص النخل وعاء للتمر يكتر فيها وتسمى الجلال – حيث يلقي جراب في أسفل الجلة ويكتر بالرجلين حتى يدخل في بعض ثم يصب فيها جراب بعد جراب ويكتر حتى تمتلئ الجلة مكنوزة ثم يخاط رأسها بالشرط[١٤٧].

وما سال من جلال التمر المكنوزة فهي الصَّقْرُ عند البحرانيين وهو دبس خام ينعَصِر من جِلال التمر كَأَنّهُ العسل[١٤٨].

وكما مر سابقاً فإن الأزهري قد بنى ما دونه عن النخل والتمر على مشاهداته وإقامته في بيئة يعد النخيل محصولها الأهم وهذه المشاهدة وتلك الإقامة لا يفوت الأزهري الإشارة إليها والتلويح بها عند التعرض لبعض الجوانب المتعلقة بالنخيل .. فعلى سبيل المثال يعقب على الليث بن المظفر[١٤٩]في قوله العمر : ضرب النخل وهو السحوق الطويل فيقول : قلت غلط الليث في تفسير العَمْر، العَمْر : نخل السُكَّر .. وهو معروف عند أهل البحرين .. ثم يقول : " ولولا المشاهدة لكنت أحد المغترين بالليث وخليلة وهو لسانه "[١٥٠].

وفي موضع آخر يعلل سبب اسهابه في الحديث عن النخيل قائلاً : إنما شرحت هذه المسألة هذا الشرح لأن من لم يقم في النخل ولم يمارسها لم يقف بذلك على تفاوتها ولم يهتد لتفسيرها[١٥١].

مشاهداته في الدَّهْنَاء والصَّمّان :

تمتد الدهناء على شكل قوس من الشمال إلى الجنوب وهي إلى الغرب من ولاية البحرين " قديماً " وهي سلاسل كثبان رملية متوازية يقع بينها فواصل صخرية تعرف بالشقيقات(١٥٢) وإلى الشرقي منها تقع الصمان .. أشهر الأمكنة التي ترتادها الباديه وفيها أجود المراعي(١٥٣)، واستناداً إلى ما يذكره الأصبهاني فقد كانت هاتان المنطقتان من المناطق الأساسية لبني تميم(١٥٤)وأشار الأزهري في مقدمته، أنه كان مع البدو .. في هاتين المنطقتين في زمان الربيع والشتاء(١٥٥)كما مر بنا وبناء على ذلك دون مشاهدات كثيرة عن هاتين المنطقتين شملت وصفاً جغرافياً لهما ووقفات أمام بعض المظاهر الجغرافية فيهما وإشارات إلى بعض مكونات بيئتها النباتية والحيوانية .

فيقدم لنا وصفاً جغرافياً للدهناء يعتمد فيه على أحد الأعراب يذكر فيه، أنها سبعة أحبل(١٥٦)بين كل حبلين شقيقتين(١٥٧)وعرض كل حبل ميل وكذلك عرض كل شقيقه وأما قدرها في الطول فما بين يَبْرين إلى يَنْسُوعة القُف فهو قدر خمسين(١٥٨) .

ولما كانت ظاهرة الدحول من الظواهر الجغرافية التي تميزت بها منطقة الدهناء والصمان فقد كان من الطبيعي ألا يفوت الأزهري الوقوف أمام هذه الظاهرة لا سيما أنه قد دخل مثل تلك الدحول كما يوضح ذلك النص التالي :

رأيت بالخَلصاء ونواحي الدَّهناء دُحْلاناً كثيرة وقد دخلتُ غير دحل منها وهي خلائق خلقها الله عز وجل تحت الأرض يذهب الدحل منها سَكّاً في الأرض قامةً أو قامتين أو أكثر من ذلك ثم يتجلفُ يميناً وشمالاً فمرة يضيق ومرة يتسع في صفاة ملساء ولا تحيكُ فيها المعاول المحدودة لصلابتها وقد دخلت منها دحلاً فلما انتهيت إلى الماء إذاجَوٌّ من الماء الراكد فيه لم أقف على سعته وعمقه وكثرته لإظلام الدحل من تحت الأرض فاستَقَيْتُ أَنا مع أصحابي من مائة فإذا هو عذبٌ زُلال لأنه ماءٌ من السماء(١٥٩) ".

لقد جاء في وصف الأزهري كما هو واضح معززٌ بالمعاينة والخبرة الشخصية حيث عرض احدى تجاربه في دخول الدُحُول، فلا غرابة بعد ذلك أن يتناقله أصحاب المعاجم اللغوية(١٦٠) والجغرافية(١٦١) وأن يكون موضع ثناء بعض الدراسات المعاصرة التي اهتمت بالأماكن والمواضع(١٦٢) .

ويلفت نظر الأزهري نقاء بعض الحبال الرملية في الدهناء فيذكر أنه رأى بها حبالاً من نُقْيان رمالها يقال لها العرائس(١٦٣)، كما أشار إلى بعض الخَبَاري(١٦٤) والموارد المائية في هذه المنطقة الرملية الواسعة مثل خبراء مَعْقُلة بالدهناء(١٦٥) والتي يقول عنها :

وبالدهناء خبراء يقال لها مَعْقُلَة، قلت وقد رأيتها وفيها حوايا كثيرة تمسك ماء السماء دهراً طويلاً وإنما سميت معقلة لإمساكها الماء(١٦٦) .

ويفهم مما يذكره الأزهري أن من العرب في البحرين من لا يقصد الدهناء فحسب طلباً للمراعي .. وإنما يقصدون أطرافها القريبة من البحرين، هرباً من الرطوبة الشديدة المصحوبة بالرائحة النتنة التي تأتي من جهة البحر، وهو ما يعرف بالوَمَد حيث يذكر " أنه إذا أثار بخاره وهبت به الريح الصبا فيقع الومد على، البلاد المتاخمة له مثل ندى السماء وهو مؤذ للناس جداً لنتن رائحته وكنا بناحية البحرين إذا حللنا بالأسياف وهبت الصبا بحرية لم ننفك من أذى الومد فإذا أصعدنا في بلاد الدهناء لم يصبنا الومد(١٦٧) " .

وفي عدة مواضع من كتابه " تهذيب اللغة " يقدم الأزهري معلومات وصفية عن بعض المظاهر الجغرافية تتضمن إشارات ولمحات عن رياضها وقيعانها والموارد المائية بها وغير ذلك من الظواهر التي شاهدها ولا يفوت الأزهري أن يبرز للقارئ أنه أقام بالصمان شتوتين(١٦٨)ليؤكد جدارته بالحديث عنها ففي مادة (صَمْ) يورد قول الأصمعي : الصَّمَّان أرض غليظة دون الجبل، ثم يعقب عليه:، وقد شتوت بالصمان ورياضها شتوتين وهي أرض فيها غلظ وارتفاع قيعان واسعة وخَبَاري تُنْبِتُ السدر عذية(١٦٩)ورياض معشبة وإذا أخصبت الصمان رتعت العرب جمعاء، وكان الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة (١٧٠)..

ومن الظواهر الجغرافية التي وقف عندها – قلات الصمان حيث قال عنها – " هي نقر في الجبل يستنقع فيها الماء وفي الصمان : نقر في رؤوس القفاف يملؤها ماء السماء في الشتاء وقد وردتها وهي مفعمة فوجدت القَلْتُ منها يأخذ ملء راوية وأقل وأكبر(١٧١) " .

وعلى أي حال فإن القارئ لكتاب تهذيب اللغة يمكنه أن يلحظ وبوضوح كثرة إشارات الأزهري إلى الصمان والعديد من الأماكن فيها (١٧٢)بشكل ملفت قياساً للمناطق الأخرى ولعل ذلك يرجع إلى كونها من أبرز الأماكن التي تجول فيها مع أبناء البادية ومكث فيها فترة من

الوقت وتضم مشاهدات الأزهري إفادات عن الحياة النباتية والحيوانية في الدَّهْناء والصمان وغيرهما من مرابع البادية، حيث يورد معلومات عن تلك النباتات يوضح أحياناً قيمتها الرعوية وما لها من خواص واستخدامات من جانب أبناء البادية كمأكولات أو علف للحيوانات، فمن تلك النباتات المنتشرة في الصَّمَّان " النهق " وهو نبات يشبه الجرجير البري، يذكر الأزهري، أنهم كانوا يأكلونه بالتمر لأن في طعمه " حَمزَة " وحرارة ومن خصائصه، أنه يلذع اللسان وينبت في قِرْيَان الرياض(١٧٣) ومن النباتات البرية التي كان الأزهري وأصحابه من البدو يأكلونها في الدهناء " الحَمصِيص " ويصفها فيقول : هي بَقْلَةَ جَعْدَة الورَق ولها ثمرة كثمرة الحُمَّاض وطعمها كطعمه، كنا نأكله إذا أَجْمنا(١٧٤) نَتَحَمَّضُ به ونستطيبه(١٧٥) .

ومن النباتات ذات الرائحة الطيبة " الحوذانة " يذكر الأزهري أنه رآها في رياض الصمان (١٧٦).

ومما شاهده الأزهري من النباتات البرية في الصمان " حرجات من السدر البري" أي أشجار مجتمعة " ورياض وقيعان عَذْبة المنابت كثيرة العشب(١٧٧) .

ويورد الأزهري أناشيد وأراجيز (يقولها الأعراب وينشدونها) تبين منافع بعض النباتات ومن ذلك ما أورده في الرُّغْل فقد ذكر أنه من شجر الحمض، ورقه مفتول والإبل تحمض به ثم قال : أنشدني أعرابي من (بني كلاب بن يربوع) ونحن يومئذ بالصمان لهميان بن قحافة (السعدي) (١٧٨)

ترعى من الصَّمان روضاً آرجاً   ورُغُلاً باتت به لواهجاً (١٧٩)

وكذلك نبات العكْرِشُ الذي يذكر من خواصه أنه ينبت في نزور الأرض الرقيقة وفي أطراف ورقه شوك إذا توطأه الإنسان بقدميه أدمتها ثم يذكر أن أعرابياً من بني سعد يكني أبا صبرة :

أعلف حمارك عِكْرِشا   حتى يجدَ وَيكمُشا(١٨٠)

وبحكم أن الأزهري تنقل في مرابع البادية في الدهناء والصمان والمناطق الصحراوية المجاورة لهاتين المنطقتين فقد أبصر عن كثب المراعي الخصبة التي تقصدها البادية وقد كان لذلك التنقل والتجوال أثره في تكوين خلفية لديه عن أهمية بعض النباتات وقيمتها الرعوية .

فقد أشار إلى الحشائش والأشجار التي تسد حاجة الحيوانات الغذائية(١٨١) وتطرق إلى

حاجة الإبل إلى الخُلة والحَمْض، فالخُلة خبر الإبل، والحمض ومنه الرمث – إن فقدته الإبل ساء رعيها وهزلت[١٨٢] .

ومن النباتات والأشجار التي قدم عنها معلومات قليلة في ثنايا كتابه تهذب اللغة الطِرْثُوث[١٨٣]، والعَلَجانُ[١٨٤]، والعِهْنة[١٨٥]، والعَرَادَة[١٨٦]، والنَّجَمَة[١٨٧]، والمُصَّاخ، والثُّداء[١٨٨]، والعَلَنْداه[١٨٩]، والهَدَال[١٩٠]، وقد يشير إلى استخدام بعضها في أغراض ضرورية لابن البادية، كاستخدام جنا العشر[١٩١]، وقشور المُصَّاخ والثُّداء ثقوباً تقود به النار[١٩٢]، واستخدام ورق نوع من السدر كغسول[١٩٣].

تضمنت مشاهدات الأزهري إشارات إلى بعض الحيوانات والطيور في الصمان والدهناء .. ومنها بعض الحيوانات من فصيلة السباع . والتي كانت وجودها مهدداً لقطعان الإبل والغنم، ويذكر الأزهري أنه رأى بالصمان ناقة مَخْرُومَة من قبل ذنبها ليلاً فأصبحت وهي مخورة . وقد أكلت العترة من عجزها ويذكر أن العترة من جنس الذئاب وهي قلما تظهر لخبثها ويشير إلى ما هو متداول في البادية من الاعتقاد بأنها من الشياطين[١٩٤] .

وهذه الدابة التي رأى الأزهرى وهو بالصمان فتكها بالناقة يقول عنها الفيروز آبادي . هي كابْن عِرْس تدنو من الناقة الباركة فتدخل في حيائها فَتندسُّ فيه فتموت الناقة مكانها[١٩٥] .

ومن السباع التي شاهدها الأزهري عناق الأرض وهي في تعريف الأزهري دابة فويق الكلـــــب الصيني أســـــــود الرأس أبيض سائره[١٩٦]، ويذكر الدميري (ت ٨٠٨هـــ) أن عناق الأرض دويبة أصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير ويعرف بالتَّفه وهو نوع من السباع[١٩٧] .

ومن الطيور التي عرف بها الحبارى وهي : لا تشرب الماء وتبيض في الرمال النائية، وهنا يروي الأزهري تجربته في التقاط بيضها من الرمال في الدهناء فيقول كنا إذا ظعنا نسير في حبال الدهناء فربما التقطنا في يوم واحد من بيضها ما بين الأربعة إلى الثمانية وهي تبيض أربع بيضات ويضرب لونها إلى الورقة[١٩٨] وطعمها ألذ من طعم بيض الدجاج وبيض النعام[١٩٩]ويشير الأزهري إلى مجموعة من الحيوانات البرية من فصيلة الزواحف،كالضَّب، والوَرَل[٢٠٠]، والوَحَرَة[٢٠١]، وأم حبين[٢٠٢] وبعض الدواب الرملية، كالعُرُفَّان التي توجد في رمال عالج والدهناء[٢٠٣] .

مشاهدات عن مجتمع البادية :

يورد الأزهري مجموعة من الإفادات والمعلومات في الجانب الاجتماعي جاءت حصيلة مشاهداته ومعاينته لأحوال السكان، والملاحظ أن ما دونه الأزهري من مشاهدات وإفادات يخص البادية أكثر من الحاضرة ويرجع ذلك إلى أن مأثورات البدو وألفاظهم ذات قيمة مرجعية عند الأزهري وأسلافه من اللغويون الذين اعتبروا البادية بيئة لغوية نموذجية لم تتعرض لتيارات العجمة والاختلاط بالأمم الأجنبية لا غرابة في أن ينقل الأزهري ألفاظاً وأخباراً من البادية في منتجعاتها المختلفة في الصمان والدهناء وفي وادي الستارين .. فالاستمداد من البادية مسلك منهجي اعتمده اللغويون من قبله[٢٠٤] كالأصمعي الذي اعتمدت كتبه على البيئة البدوية والسعي فيها وسؤال ساكنيها يروى أنه وقف بحمى ضرية (الواقع في منطقة القصيم) يكتب كلام صبية أعراب يتراجزون حتى أقبل شيخ فقال له :

أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع[٢٠٥] ؟

لقد رأينا كيف انتقل الأزهري إلى مرابع البادية فصحب الأعراب في بواديهم ومنتجعاتهم مما مكنه من إمدادنا بقطوف متناثرة تناولت جوانب من العوائد التي تحكم حياة البادية وطبائع البدو وأسلوب عيشتهم وحركتهم بين موارد المياه والمراكز الزراعية وبين الدهناء والصمان[٢٠٦] .

ويظهر أنه في زمان الأزهري كانت البداوة في شرقي الجزيرة العربية تتمتع بثقل بشري مكنها من الامتداد إلى الريف وامتلاك بعض القرى والواحات التي كان البدو يرجعون إليها في حمراء القيظ فإذا برد الزمان ظعنوا عن أعداد المياه (مياه العيون والآبار) وبدوا طلباً للقرب من الكلأ [٢٠٧] .

وكمدخل بين يدي ما سوف نستعرض من مواد في السطور الآتية لابد أن نبين أن الأزهري في تعريفه للأعراب والبدو اعتبر هؤلاء جماعة لها أساليبها في تحصيل العيش واعتبر البداوة حالة اجتماعية و لم ير في الأعراب فئة عرقية ذات خصائص دائمة . فهو يرى أن من نزل البادية أو جاور البادين أو ظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب[٢٠٨]، ويرى أن البادية هم الذين يتباعدون عن أعداد المياه ذاهبين في النجع إلى مساقط الغيث ومنابت الكلأ .

هذا التقعيد الاصطلاحي نقله عن الأزهري أصحاب المعاجم اللاحقة[٢٠٩]مما يوضح أثر

الأزهري في وضع بعض المفاهيم المتعلقة بالحياة الاجتماعية .

يرصد الأزهري مجموعة من الظواهر الحركية والاقتصادية التي تميز فئة البداوة يأتي في مقدمتها التنقل والارتحال الموسمي ضمن مجال جغرافي محدد حيث يذكر أن البادية إذا وقع ربيع في الأرض في الخريف أو الشتاء توزعتهم النجع وتتبعوا مساقط الغيث يرعون الكلأ والعشب إذا أعشبت البلاد [٢١٠].. وفي موضع آخر يبين أن البدو يحضرون إلى الماء العِدّ[٢١١]الذي لا انقطاع له شهور القيظ لحاجة النعم إلى الورود – أي ورود الماء – فإذا انقضت أيام القيظ بدو فتوزعتهم النُّجَع واتجهوا إلى الفلوات المُكلِئة [٢١٢].

ويبين الأزهري أن حركة البدو تجاه المراعي لا تتم بشكل عشوائي وعفوي، بل يبعثون أولاً الرواد لاكتشاف المراعي المخصبة،من أجل النزول حولها[٢١٣] .. ومما يرصد الأزهري من ظواهر تخص البادية امتهان حرفة رعي الماشية من إبل وغنم، ويفهم مما يورده الأزهري أن ملاك الإبل تحت أيديهم رعاة وسقاة[٢١٤]، وأن أصحاب الإبل في البادية أقوياء ممتنعون[٢١٥]، ولعل ذلك ما يشير إلي مكانة ملاك الإبل الاجتماعية .

ويسجل لنا الأزهري مشهد الإبل وهي ترد الماء إرسالاً فيذكر " أن أرباب النَّعم يقولون للرعيان يوم الورْد – إذا أوردوا الإبل – والساقيان يجيلان الدلاء في الحوض أي يحركان حتى فاض : ألاوخَوِّصوها أَرْسَالاً، ولا تورد جملة فَتَباك على الحوض وتهدم أعضاده [٢١٦] .

وتناولت إفادات الأزهري المبنية على خبرته ومشاهداته . الإشارة إلى طبيعة العيش البدوي وغذاء أهل البادية، حيث توفر الماشية للبادية قوتها الرئيسي وهو اللبن ومشتقاته، فمن كان يخالطهم ويعيش في ظلهم عاشوا بألبان النعم[٢١٧]، ويذكر عن أهل البادية أنهم إذا أصابوا من اللبن ما يكفي لقوتهم فهم مخصوبون لا يختارون عليه غذاءاً من تمر أو زبيب أو حب فإذا أعوزهم اللبن وأصابوا الحب والتمر ما يتبلغون به فهم مُثافلون ويسمون كل ما يؤكل من لحم أو خبزٍ أو تمرٍ ثُفْلاً [٢١٨].

ولا يفوت الأزهري التطرق إلى تسخين اللبن من جانب الأعراب إذا برد الزمان فمما سجله من مشاهد رؤيته للأعراب يأخذون الحجارة فيوقدون عليها فإذا حميت رضفوا بها اللبن الحقـــــين الذي قد برد وربما رضفوا الماء للخيل إذا برد[٢١٩].

ويذكر الأزهري أن من النياق من تخلى للحلب فقط، وقد رأى العرب يحلبون الناقة من

يوم نتجت سنة إذا لم يحملوا الفحل عليها وأنهم يغرِّزُونها[٢٢٠] بعد تمام السنة وإذا غرزوها و لم يحتلبوها وكانت السنة مخصبة تراد اللبن في ضرعها فخثر وخبث طعمه، ويورد تجربته في حلب ناقة من هذا الصنف فيقول " لقد حلبت ليلة من الليالي ناقة مغرزة فلم يتهيأ لي شُرْبُ صراها لخبث طعمه ودفقته[٢٢١].

ويظهر الأعراب سرورهم بطبيعة عيشتهم القائم على الاكتفاء بيسير القوت دون النظر لما هو مقبل من الأمر، يتجلى ذلك فيما يذكره الأزهري أنه سمع أعرابياً من فزارة يقول " أنتم معشر الحاضرة قبلتم دنياكم بقبلان ونحن نزجيها زجاة " أي نتبلغ بقليل من القوت ونجتزي به[٢٢٢].

وهذا يذكرنا بما ذكره ابن خلدون وهو يرصد بعض الظواهر المميزة للبداوة فقد ذكر من بين تلك الظواهر أن أهل البدو مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد[٢٢٣].

ويرد عن الأزهري في كتابه الزاهر ما يفيد بأن فئات من البادية قد واجهت الجوع وقلة الأقوات فاضطرت إلى أكل الحبوب البرية على ما فيها من الخشونة وقلة الخير[٢٢٤]، ومن تلك الحبوب (الفَثُّ والدَّعاع) يقول عنهما الأزهري إنهما حبتان بريتان إذا جاع البدوي في القحط دقهما وعجنهما واختبزهما فأكلهما[٢٢٥]، ويذكر عن الفث أنه غذاء رديء ربما يتبلغ به الأعراب أياماً[٢٢٦]، ويلاحظ الأزهري أن جزءاً من قوت البادية يحصل عليه بواسطة الصيد ومما يصيدونه الضب[٢٢٧] والأرانب البرية والجراد .

ومما سجله الأزهري من مشاهد منظر " الرِّعْيَان " وهم يصيدون الأرانب ومنظر صيد الجراد وإعدادها للأكل .

فقد لاحظ الأزهري فئة الرِّعيان وهم يحذفون الأرانب بعصيهم إذا عدت ودرمت بين أيديهم فربما أصابت العصا قوائمها فيصيدونها ويذبحونها [٢٢٨]، ورأى العرب وهم يملأون الوعاء من الجراد وهي تهتمش فيه ويحتفرون حفرة في الرمل ويوقدون فيها ثم يكبون الجراد من الوعاء فيها ويهيلون عليها الإِرَّة حتى تموت ثم يستخرجونها ويشررونها في الشمس فإذا يبست أكلوها[٢٢٩] .

وإذا كانت مشاهدات الأزهري، لا تعطينا صورة كاملة عن الأوضاع الفكرية والدينية

عند الأعراب الذين عاش بينهم .. إلا أننا نستطيع الظفر ببعض الملامح والإشارات التي نستطيع من خلالها التعرف على أجزاء من ملامح تلك الأوضاع .. فلقد كانوا يتداولون أشعار الجاهليين والإسلاميين كالأعشى[٢٣٠] وذي الرمة[٢٣١] وهميان بن قحافه السعدي[٢٣٢] الراجز مما يدل على ارتباطهم بتراث العرب القديم ..

وعند تأمل بعض الأسماء الأعرابية التي يوردها _ وقلما يذكر أسماء الرجال الذين سمع منهم في البيئات البدوية – نجد أنها توحي بالخشونة وهو ما كان جارياً في العصر الجاهلي حيث كان الجاهليون يسمون أبنائهم بأسماء خشنة مجافية للذوق .

فقد لفت نظر الأزهري بعض أسماء أهل البادية – والأسماء تعكس أحياناً ثقافة المجتمع . ومن تلك الأسماء (شغنوب) [٢٣٣]، حيث سأل غلاماً فصيحاً عن معنى اسمه ،ومثل (خنبش) [٢٣٤]، واللجوء إلى هذه التسميات مما يمكن اعتباره من مظاهر الارتباط بتراث العرب القديم في جاهليتهم ..

وبما أن الأزهري قد خالط مجتمع الأعراب فقد تسنى له الوقوف على بعض عاداتهم التي تؤكد تسرب الخرافة وتعمقها في وجدان أبناء البادية وربما كان ذلك عائد إلى ضعف التثقيف الديني، وضعف تأثير الحواضر الإسلامية على الجماعات القبلية[٢٣٥]، وغياب الرؤية السياسية الدينية الواعية عند الخلافة المنهكة .. حيث لم تحاول دمج القبائل في مجتمعها العسكري وربطها مادياً وثقافياً بالحواضر الإسلامية .. حتى في عصر قوة الخلافة . مما أدى ليس فقط إلى الجهل بالدين، وإنما احتراف اللصوصية وقطع طرق الحج .

على أي حال يذكر الأزهري أن من الأساطير والخرافات التي انتشرت بين الأعراب تعليق التمائم وهي قلادة من سيور، وربما جعلت في أعناق الصبيان ثم يقول : قلت والتميمة خَرَزات كانت الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين وهو باطل[٢٣٦].

كذلك يذكر أن لنساء الأعراب خرزة يقال لها العقرة يزعمن أنها إذا علقت على حقو المرأة لم تحمل إذا وطئت[٢٣٧]، ويورد أمثلة لإيمان الأعراب، تتضمن القسم بغير الله، حيث يقول بعض الأعراب في يمين له " لا والقمر الطاحي[٢٣٨] " .

ومما نجده عند الأزهري مما لفت نظره واسترعى انتباهه من واقع مشاهداته مجموعة من المأثورات من الأمثال والأحاجي والأناشيد .. مما كان يردده ابن البادية آنذاك .

فيذكر أن صبيان الأعراب يقولون في أحجية لهم : " ما حطائط بطائط يميس تحت الحائط " يعنون الذرة[٢٣٩]، ويقول بعض الأعراب : " أبيض قُرقُوف بلا شعر ولا صوف في كل البلاد يطوف " ويقصد الدرهم الأبيض[٢٤٠] ".

ومما ورد على ألسنتهم من باب امتحان القدرة على ترديد كلمات ذات حروف متقاربة وبشكل متتابع :

" وَرْل ورل يُمرمِر مَرْوة ويَلُوكها[٢٤١]"ويذكر حمد الجاسر أن هذه الجملة لا يزال أهل البادية يعايون بها من حيث الإسراع في النطق مع إخراج الحروف واضحة فإنهم يطلبون منك أن تقول بسرعة كما يقولون " الورر يمر مر المروة والمروة تمر مر الورر [٢٤٢] " .

وهكذا يقدم الأزهري لقرائه معلومات (متناثرة) عن أحوال البادية وتراثها في عصره ذلك التراث الذي يمكن القول إنه يمثل مع مصادر أخرى جذور التراث البدوي المعاصر، وهذه المعلومات . تعد مواد تاريخية باعتبارها تتناول أحوال ماضية وأنشطة إنسانية قديمة وكما تهم المؤرخين تهم أيضاً المشتغلين بالدراسات الاجتماعية خاصة أولئك الذين يعنون بالدراسة الوصفية لأساليب حياة المجتمعات وعاداتها وتقاليدها ومأثوراتها الشعبية[٢٤٣].

إن جزءاً مما يورده الأزهري عن فئة البادية بما في ذلك العوائد والمظاهر المميزة لتلك الفئة، مما لا يتغير عبر الأزمنة حيث يستمر تأثيرها في حياة المجتمعات البدوية وإنما يكون تغيرها مرهوناً بحدوث نقلات نوعية في حياة البادية وتحولات اقتصادية وسياسية في محيطها الجغرافي .

لكن ما يورده الأزهري عن البادية من مشاهدات وإفادات يدل على أن حياة البادية وأسلوبها في العيش وحركتها بين المياه والمراعي ونظامها الاجتماعي القائم على الالتفاف حول القبيلة أو العشيرة والشعور بقوة تلك الرابطة كل ذلك لم يتأثر بالواقع السياسي والديني الذي نجم عن سيطرة القرامطة الذين لم يكن بمستطاعهم هدم بنية القبيلة وإلغاء دورها السياسي والاجتماعي .

وبعد هذا الاستعراض لأبرز مضامين مشاهدات الأزهري لابد من مناقشة ما إذا كان الأزهري قد قدم مواد ذات قيمة مصدرية في التاريخ السياسي لشرقي الجزيرة العربية أثناء إقامته بها، حيث كانت موازين القوة السياسية والنفوذ الاجتماعي موزعة بين القرامطة في بعض المدن والمراكز والزعامات البدوية في بعض الأرياف وفي الصحراء، فهل لدى الأزهري مواد ونصوص

تعكس الواقع السياسي الذي شاهده وعاش في ظله ؟ هذا ما سوف نتناوله في النقطة الآتية :

مشاهدات الأزهري السياسية :

لم يقدم الأزهري معلومات ذات بال تمس الجانب السياسي والعسكري عند دولة قرامطة البحرين، مع أنه خَبِرَ أولئك القرامطة عن كثب حيث وقع في أسرهم وأقام بينهم مدة، في وقت لم تكن أعمالهم خافية على أمثاله من الكتاب واللغويين بل كانت ممارستهم قضية تؤرق الرأي العام الإسلامي وتشغل باله لسيطرتهم على دروب الحجيج وغارتهم على مكة عام ٣١٧ هـ، ومع ذلك لا نجد في معجم الأزهري ما يعكس هذه الحقيقة فقلما يظفر الدارس بأي خبر أو معلومة مما يمس الشأن السياسي، في شرقي الجزيرة العربية في عهد القرامطة، من واقع مشاهداته، يذكر حمد الجاسر، أننا لا نجد في كتابه تهذيب اللغة توضيحاً لمعنى اسم القرامطة الذي اختلف في سبب اطلاقه على تلك الطائفة مع أنه أورد كلمة القرامطة، وأوضح معناها اللغوي(٢٤٤)، لقد أشار الأزهري إلى " قرامطة الكتاب وتداني الحروف(٢٤٥) " وفي موضع آخر يذكر أن القرمطة هي الوكت في المشي(٢٤٦)، من غير أن يشير إلى القرامطة تلك الطائفة التي كان المسلمون يعانون من عدوانها .

هذا في وقت اتسع الكتاب أحياناً لرواية بعض الأساطير والخرافات مثل خبر التنين الذي حملته السحابة فإذا ذنبه يضطرب في هيدب السحابة(٢٤٧)، وكقصة الرجل الذي أعطى ثلاث دعوات فأعطاها امرأته (٢٤٨) وكخبر – شمر وما قيل عن غزوه لسمرقند وحملها لإسمه (٢٤٩)ومثل خبر فأرة المسك بالتبت(٢٥٠). وهي أخبار أسطورية يتضح من سياقها أثر الخيال والوضع في صناعتها وحبكها، وثمة إشارات قليلة هنا وهناك تمس الحكم القرمطي وسيرته، ولكن بعض تلك الإشارات تفتقر إلى التحديد المكاني والزماني، وإلغاء الزمان والمكان بالنسبة للواقعة التاريخية يفقدها مشخصاتها التاريخية ويدخلها في نطاق المعلومات الإنسانية العامة مثل الفلكلور الذي لا تعرف أصوله على وجه التحديد(٢٥١)، كما تفتقر تلك الإشارات أيضاً إلى ذكر صناع الحادثة . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في مادة (ندا)، "قال الأزهري، سمعت عريفاً من عرفاء القرامطة يقول لأصحابه وقد ندبوا للنهوض في سرية استنهضت الاوندوا خيلكم، المعنى ضمروها وشدو عليها السروج وأجروها حتى تعرف(٢٥٢)" .

وترد إشارات موجزة إلى أحداث وقعت بأمكنة في شرقي الجزيرة العربية لكنها ترد غير

مفصلة، وكأنها استلت من رواية فيها زيادة بيان وتفصيل .

فيروى عن أعرابي من بني كليب[٢٥٣] أن أبا سعيد القرمطي لما دخل هجر، سوى حظاراً من سعف النخل وملأه من النساء الهجريات ثم ألعج النار في الحظار فاحترقن[٢٥٤].

وفي كتابه الزاهر يشير باقتضاب شديد إلى مدينة قطر[٢٥٥] التي خربها القرامطة دون أن نعرف ما إذا كان قد شهد آثار ذلك التخريب والتدمير ؟

ونفهم مما أورده عن أحساء بني سعد (التميميين) أنها دار القرامطة وبها منازلهم[٢٥٦]، لكنه لم يوضح هل انتزع القرامطة المدينة من بني سعد، كما أخذوا (يبرين) في رواية الهجري[٢٥٧] من القبيلة نفسها[٢٥٨].

ويكتفي الأزهري بذكر بعض العبارات التي تصور مرارته من الوضع الناشئ عن سيطرة القرامطة وتمكنهم، وعداءه لممارساتهم حيث يدعو عليهم بعبارة :

أبادهم الله[٢٥٩]، ومن غير أن يستدعي الأزهري أي واقعة تاريخية بعينها يطرح الأزهري سؤالاً فحواه كيف يكون الحرم آمناً وقد أخيفوا وقتلوا؟ – أي الحجاج – في الحرم وهو سؤال يطرحه الأزهري وفي مخيلته – كما يبدو لنا – نازلة عصره، اعتداء القرامطة على بيت الله الحرام سنة ٣١٧ هـ، بقيادة أبي طاهر القرمطي .

وقد أجاب على ذلك السؤال موضحاً أن الله جعله حرماً آمناً أمراً وتعبداً لهم، فمن آمن بذلك كف عما نهى عنه اتباعاً وانتهاءاً إلى ما أمر به ومن الحد وأنكر أمر الحرم وحرمته فهو كافر مباح الدم [٢٦٠]" .

وإذا تركنا القرامطة إلى القبائل في شرقي الجزيرة العربية فالملاحظ أننا لا نجد أي مادة تتعلق بالجوانب السياسية عند القبائل التي عاش في كنفها، لقد كانت القبائل عنصراً مؤثراً في المنطقة ومن المؤكد أن شيوخها وزعماءها لم يغيبوا عن دائرة النفوذ والقوة حتى في ظل القرامطة، ومع ذلك لا نجد أي إشارات أو ملامح من شأنها أن تزود الدارس بمحتوى القاموس السياسي والاجتماعي عند البدو الذين وجدت ألفاظهم وعباراتهم الفصيحة طريقها إلى معجمه، ولم يُعنَ الأزهري بمدلولات بعض بالمصطلحات ذات البعد السياسي والإداري في عصره في ضوء مشاهداته وخبرته وفي ضوء تعامله مع البيئة السياسية التي عاش بينها، خاصة ما كانت متداولة عند القرامطة وبين شيوخ القبائل وزعمائها، فقد نجد أحياناً في ثنايا مشاهداته

مصطلحات ذات بعد إداري أو تنظيمي .. دون أن نجد التعريف الذي يلمس ذلك البعد المشار إليه، ومن ذلك مصطلح " العريف " الذي يرد في ثنايا مشاهداته فقد ورد عنده " عريف الحي[٢٦١]" و " عرفاء القرامطة[٢٦٢]"، وحيث أن بعض المصادر التاريخية تذكر أن أبا سعيد الجنابي مؤسس دولة القرامطة وضع العرفاء على الرجال[٢٦٣].. كجزء من ترتيبات إدارية لتقوية سلطته – كما يظهر و ذلك في مجتمعات المدن في البحرين وبناءاً على ذلك نحتاج إلى إيضاح، يتناول اختصاصات العريف وأسس اختياره ومهامه وبكل تأكيد فإن ورود مثل ذلك الإيضاح في معجم عاصر صاحبه قرامطة البحرين إبان نهضتهم وهو ما ينطبق على الأزهري، سيكون مفيداً للدراسات التاريخية التي تتناول تلك الفئة لكننا عندما نرجـــــــع إلى مادة (عرف) في كتابـــــــــه تهذيـــــــــــب اللغة[٢٦٤] لا نظفر بشيء من ذلك.

ويمكن تعليل ذلك أي عدم عناية الأزهري بالمصطلحات ذات البعد السياسي أو الإداري مما ينتمي إلى عصره، إلى طبيعة منهج الأزهري فهو معني برصد الألفاظ الفصيحة، لا ما كان متداولاً في الحواضر والمدن، فمنهجه اللغوي يقتضي التركيز على الألفاظ التي يستعملها الأعراب الذين لم يخالطوا أمماً مجاورة[٢٦٥]، إضافة إلى ذلك يمكن القول إن الأزهري لم يشارك في أعمال سياسية أو إدارية هذا من ناحية، ومن ناحية فيحتمل أن الأزهري كان بعيداً عن الزعامات البدوية ذات الدور القيادي ومن هنا قصر معجمه عن إيراد مواد ذات طابع سياسي أو إداري تخص القرامطة أو شيوخ البادية .

* * *

الخاتمة

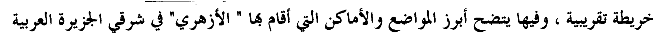
كشف البحث عن مجموعة من الحقائق أبرزها :

-قدم الأزهري معلومات وصفية عن المراكز الزراعية التي عاش فيها وإفادات عن المراعي الهامة في شرقي الجزيرة العربية وتضمنت مشاهدات الأزهري إفادات تتعلق بفئة البادية وطبيعة حياتهم الاجتماعية، ومن خلال هذه المعلومات والإفادات يقف الدارس على بعض الأنشطة الاقتصادية والأنماط المعيشية السائدة في شرقي الجزيرة في أوائل القرن الرابع الهجري .

-نستطيع القول إن مشاهدات الأزهري تلك تؤهله لأن يصنف ضمن الرحالة والجغرافيين الوصفيين، فقد جاءت هذه المشاهدات ثمرة رحلات وتنقلات بين بوادي العرب ونتيجة لإقامته في الدهناء والصمان وأرياف البحرين (المنطقة الشرقية حالياً) فترة من الزمن . وتتأكد أهمية مشاهدات الأزهري إذا أدركنا أن تلك المشاهدات بمضامينها التاريخية والحضارية والجغرافية قد جاء أغلبها ليصور واقع الحياة وأحوال جزء من السكان في منطقة من المناطق التي لم تحظ جوانب من تاريخها، وأحوال سكانها بتغطية كافية من أغلب المصادر التاريخية والجغرافية .

-كشفت الدراسة عن أهمية المشاهدات والإفادات التي دونها لغويون وأدباء خالطوا العرب في بواديهم للدارسين والباحثين في تاريخ الجزيرة العربية خاصة مناطقها التي يواجه الباحث فيها ندرة المصادر عنها في بعض الفترات التاريخية وانقطاع الاهتمام بها من مؤرخي الحواضر الإسلامية الكبرى .

وقد تناول البحث نموذجاً لهؤلاء اللغويين حيث رأينا الأزهري وهو يقدم لنا مشاهدات و إفادات لها قيمتها التاريخية، وفي ضوء ذلك نرى أن الحاجة قائمة لمزيد من البحث عن مثل تلك المشاهدات والإفادات المشار إليها ودراستها وتحليل موادها .


خريطة تقريبية ، وفيها يتضح أبرز المواضع والأماكن التي أقام بها " الأزهري" في شرقي الجزيرة العربية

خريطة تقريبية، وفيها يتضح أبرز المواضع والأماكن

التي أقام بها (الأزهري) في شرقي الجزيرة العربية

الهوامش والتعليقات

(١) انظر : حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المنطقة الشرقية) الرياض دار اليمامة للبحث والترجمة ط١ (١٣٩٩ هـ) ق١ ص ٢٢ – ٢١٧ .

(٢) انظر نسبه وترجمته في المصادر الآتية : القفطي علي بن يوسف (ت ٦٢٤ هـ) انباه الرواه على أنباه النحاة تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠١ هـ ج ٤ ص ١٧٧ – ١٧٨ ياقوت الحموي (ت ٦٢٢ هـ) : معجم الأدباء ، مج ٩ ج ١٧ ص ١٦٤ – ١٦٦ وغير ذلك من المصادر .

(٣) ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين ابن منصور الأفريقي (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب بيروت ، دار صادر ، (د ، ت) مج ١ ، ص ٧

(٤) عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دمشق ، دار طلاس ، ط ١ (١٩٨٦ م) ، ص ١٠٥

(٥) انظر على سبيل المثال ، رشيد العبيدي : الأزهري في كتابه تهذيب اللغة ص ١٧ – ٢٦ ، عبد السلام هارون . مقدمة تحقيق كتاب تهذيب اللغة ، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، (١٩٦٤ م) ص ٥ – ١٢

(٦) السبكي : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود والطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة (١٣٨٥ هـ) ، ج ٣ ، ص ٣ –٦٣ .

(٧) ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر، (١٩٦٨ م) ، ج ٤ ، ص ٣٣٤

(٨) تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، دمشق ، دار البصائر ، ط١ (١٤٠٥ هـ) ، ص ١٣ .

(٩) وفيات الأعيان . ج ٤ ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

(١٠) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٣ ، ص ٦٤ ، وانظر : الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) : سير أعلام النبلاء ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٦ ، ص ٣١٥ – ٣١٧ .

(١١) القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤ هـ) : إنباه الرواة ... ج ٤ ، ص ١٧٧ .

(١٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ، ص ٦٤ .

(١٣) انظر : ياقوت : معجم الأدباء ، ج١٧ ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، وللمزيد من المعلومات عن اعتراض القرامطة للحاج انظر عريب القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع ملحقاً بتاريخ الطبري نشر دار سويدان ، بيروت (د ، ت) ص ١٠٣ ابن الأثير : علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، (١٣٨٥ هـ) ، ج ٨ ، ص ١٤٧ .

(١٤) القفطي : إنباه الرواة على أنباء النحاة ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

(١٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٣ ، (١٤٠٠ هـ) ، ج ١٧ ، ص ١٦٤ .

(١٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباه أنباء الزمان ، ج ٤ ، ص ٣٣٧ .

(١٧) نشرته الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٧٥م) .

(١٨) شملت الفهارس ما يلي : فهرس الكتب والأبواب حسب الترتيب الأزهري ، فهرس المواد اللغوية ، فهرس الأشعار ، فهرس الأرجاز ، فهرس أجزاء الأبيات والإحالات انظر ، فهارس معجم تهذيب اللغة للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ط١ (١٣٩٦ هت) ، ص ٩ .

(١٩) حققه محمد جابر الألفي ، الكويت ، وزارة الشؤون الإسلامية (١٣٩٩ هـ) ، ثم حققه عبد المنعم طوعي بشناتي ، بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ط ١ (١٤١٩ هـ) .

(٢٠) حققته : نوال بنت إبراهيم الحلوه ، الرياض ، (د ، أ) ، ط ١ (١٤١٢ هـ) .

(٢١) تحقيق ودراسة كل من عيد مصطفى درويش وعوض بن أحمد القوزي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ١ ١٤١٢ هـ ويظهر أن هذا الكتاب والذي قبله كتاب واحد لأبي منصور الأزهري .
انظر : عبد المنعم طوعي بشناتي ، مقدمة تحقيق الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، ص ٤٧ .. انظر قائمة مؤلفاته في المصادر والمراجع الآتية : ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١٧ ، ص ١٦٥ .. فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، الرياض ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١ هـ ، مج ٨ ، ط١ علم اللغة ، ص ٣٦٠-٣٧٠ ، انظر : رشيد العبيدي : الأزهري في كتابه تهذيب اللغة ، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية جامعة القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ٨٧-١٠٣ ، عبد السلام هارون ، مقدمة تهذيب اللغة ص ١٣-١٥ .

(٢٢) علي بن أحمد بن سيده جمع في اللغة كتاب المحكم وله كتاب المخصص توفي سنة ٤٥٨ هـ .. انظر : القفطي : أنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج٢ ، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٢٣) أبو الفضل جمال الدين بن منصور الإفريقي (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر (د ، ت) ، مج١ ، ص ٧ .

(٢٤) حلمي خليل : مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ، بيروت ، دار النهضة ، ط١ ، ١٩٧٧ م ، ص ١٢٨ ، ١٥٨

(٢٥) يراجع : عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، ص ١٠٨ .

(٢٦) سبق الإشارة إلى دراسة كل من : رشيد عبد الرحمن العبيدي : الأزهري في كتابه تهذيب اللغة ، رسالة دكتوراه من قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، (١٩٧٣ م) محمد إبراهيم المرشد : المسائل النحوية في تهذيب اللغة رسالة ماجستير من قسم النحو بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤١٢ هـ) .

(٢٧) مقدمة تحقيق كتاب تهذيب اللغة ، ط١ ، ص ٢٠ – ٢١ ، وانظر : أحمد عبد الغفور عطار : الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، بيروت ، ط٤ ، (١٤١١ هـ) ، ص ١١١ .

(٢٨) استناداً إلى ما جاء في فهارس معجم البلدان فقد اقتبس ياقوت في معجمه من الأزهري في (١٦٢) معلماً من المعالم المكانية التي جاءت في كتابه هذا غير ما اقتبسه بلفظ قال أبو منصور دون أو يورد اسمه ، انظر ، فهارس معجم البلدان الملحقة بالمعجم إعداد فريد الجندي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٠ هـ ، ج٦ ، ص ٤٧ .

(٢٩) انظر على سبيل المثال : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ ، ج٣ ، ص ٤٨١ ، ج ٤، ص ٤٣٧ .

(٣٠) تولى قيادة القرامطة بعد أخيه سعيد ومن أعمال القرامطة في زمانه استباحة البصرة سنة ٣٠٧ هـ ، والتعرض للحجاج سنة ٣١٢ هـ ، والهجوم على مكة وقتل كثير من الحجاج سنة ٣١٧ هـ وأخذ الحجر الأسود ، مما اضطر الخلافة العباسية لمهادنته ، توفي أبو طاهر مجدوراً سنة ٣٣٢ هـ .. شاكر مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها . بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١ (١٩٩٣ م) ج١ ، ص ٥٣٦ .. عبد المنعم عزيز النصر : جذور حركة القرامطة تأريخهم ، وتاريخ دعاتهم ، بغداد ، مطبعة أسعد ، (١٩٨٦م) ، ص ٤٢ — ٤٣ .

(٣١) لا يزال الهبير معروفاً يطلق على رمل ممتد شرقيالأجفر ، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة) (إمارات حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، (د ، ت) ، القسم الثالث ، ص ٣٤٨ .

(٣٢) انظر ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥ هـ) : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٤١٢ هـ) ، ج٣ ، ص ٢٣٨ ، ابن الأثير : علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، (١٣٨٦ هـ) ، ج٨ ، ص ١٤٧ .

(٣٣) انظر : المسعودي : علي بن الحسين (ت ٤٤٦) : التنبيه والإشراف ، بيروت ، مكتبة الهلال (١٩٨١ م) ، ص ٢٤٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١٣ ، ص ٢٣٨ .

(٣٤) تهذيب اللغة ، ج١ ، تحقيق عبد السلام هارون مراجعة محمد النجار ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٦٤ هـ ، ٦-٧ .

(٣٥) تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ٢٢٤ ، والدو : الصحراء الواقعة جنوب شرقيوادي حفر الباطن وتعرف باسم القرعة وتمتد حتى تشمل جانباً من الدبدبه ، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المنطقة الشرقية) الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، ١٣٩٩ هـ ، القسم الثاني ، ص ٧١٠ ، وسيشار إلى هذا المصدر لاحقاً باسم (المنطقة الشرقية)

(٣٦) تهذيب اللغة ، ج١٤ ، ص ٢٢٤ وحفر أبي موسى هو حفر الباطن الآن ، الجاسر : المنطقة الشرقية ، القسم الثاني ص ٥١٧ .

(٣٧) تهذيب اللغة ١٢ / ٨٨ ، انظر : العبيد : عبد الرحمن بن عبد الكريم ، الموسوعة الجغرافية لشرقيالبلاد العربية السعودية ، الدمام ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي ، ط١ ، ١٤١٣ هـ ج١ ، ص ٢١٠-٢١١ ، ويقول العبيد تعليقاً على ما ذكره الأزهري من أن في البيضاء نخلاً كثيراً عروقها راسخة في السماء ... (تهذيب اللغة ج٢ / ص ٤١٤) : ما أصدق الأزهري في روايته عن المنطقة فهو يصفها ويتحدث عنها وكأنه أحد أبنائها .

(٣٨) تهذيب اللغة ج٧ ، ص ٦٣٥ .

(٣٩) انظر ، تهذيب اللغة ، ج١٢ ، ص ١٢٩ ، والستاران من ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم وتقع شمال الإحساء وتعرف اليوم بمنطقة وادي المياه ، تهذيب اللغة ج٤ ، ص ٤٦٦ – ٤٦٧ ، ج١٢ ص ٣٨٢ ، الجاسر : المنطقة الشرقية ، قسم ٣ ، ص ٨٤-٨٣٩ .. مجموعة من الباحثين : الطريق إلى الرياض ، دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبد العزيز لاسترداد الرياض ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، ط١ ، ١٤١٩ هـ ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

(٤٠) تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص ٣٣ ، ج١٢ ، ص ١٢٩ .

(٤١) تهذيب اللغة ج١ ، ص ٧

(٤٢) انظر : ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت دار الفكر (د ، ت) . ص ٢٨٢، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٤٦٩ ، وعن تعاون هذه القبائل مع القرامطة ، انظر : المسعودي : التنبيه والإشراق ص ٣٥٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

(٤٣) .. تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ٢٢٤ .

(٤٤) القيظ : هو موسم جني التمر وقد ذكر الأزهري أن فصل القيظ ثلاثة أشهر (حزيران وتموز وآب) ، تهذيب اللغة ، ج٩ ، ص ٢٦٠ .

(٤٥) تهذيب اللغة : ج ١٢ ، ص ٨٨

(٤٦) المقريزي : أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٧ ص ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٤٧) الهمذاني : عبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥ هـ) : تثبيت دلائل النبوة ، بيروت دار العربية ، (د ، ت) ج٢ ، ص ٣٨٩ .

(٤٨) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص٧ راجع حمد الجاسر : (المنطقة الشرقية) ق ٣ ، ص ٨٣٩ ، ٨٤٢ ، ٨٨٣ .

(٤٩) أشار إلى أنها دار القرامطة وبها منازلهم (تهذيب اللغة ج٥ ، ١٦٩) ويبدو أن بنو سعد كان خارج المدينة في الضواحي والأماكن الواقعة خارجها ، وكانت المدينة تضاف إليهم ولكن بعد استيلاء القرامطة على البلاد ضعف نفوذهم أعني بني سعد وأصبحت تضاف إلى القرامطة ، انظر حمد الجاسر : المنطقة الشرقية ، ص ١٢٠ – ١٢٤ .

(٥٠) تهذيب اللغة ، ج٨ ، ص ١٢٨ ، انظر : الجاسر ، المنطقة الشرقية ، ١ / ١٧٨ .

(٥١) تهذيب ، ١٥٠/ ١٥٩ ، يرجح الجاسر أنها منطقة عريعرة ، المنطقة الشرقية ١ / ٢٠٢ .

(٥٢) تهذيب ، ج١٥ / ٧٩ وهي آبار تقع شرقي الصمان ، الجاسر : المنطقة الشرقية ج١ / ص ٣٣

(٥٣) تهذيب اللغة ١٤ / ٢٤٨ ، ١٥ / ١٦٨ ، هذا الموضع يقع ضمن وادي المياه حالياً والماء غير معروف الآن ، الجاسر : المنطقة الشرقية ، ١ / ٣٣٣ وهي غير ثرمداء الوشم ، ويمكن إرجاع اشتراك المكانين في هذا الاسم إلى أن القبائل عند ترك منازلهم تطلق على منازلها الجديدة نفس مسميات منازلها الأولى .

(٥٤) نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وهي حفر احتفرها على حادة البصرة (تهذيب اللغة ٥ / ٧ ، وهي حفر الباطن الآن .

(٥٥) انظر ، تهذيب اللغة ، ٥ / ٢٥٢ ، انظر ، العبيد : الموسوعة الجغرافية لشرقيالبلاد السعودية ١ / ٢٩٧ .

(٥٦) موضع بواد الستارين ، تهذيب اللغة ٤ / ٤٦٦ – ٤٦٧ .

(٥٧) تهذيب اللغة ٥ / ٢٧٨ ، وقد ذكر ما يدل على أنها في منطقة (الدو) وسيأتي التعريف بها .

(٥٨) من دحول الدهناء انظر : تهذيب اللغة ٤ / ٤١٩ ، ١١ / ٢٢٨ وقد تكون الآن ما يعرف بعريق الدحول حمد الجاسر : المنطقة الشرقية ق ٢ /ص ٦٢٣ .

(٥٩) ذكر أنها في ديار تميم ، تهذيب اللغة ج٧ / ص ٤١ . ويقول حمد الجاسر " يظهر أنها في وادي الستار " المنطقة الشرقية ق٢ ص ٦٤١ .

(٦٠) أرض قطعها مع القرامطة (تهذيب اللغة ٢ / ٣٩٢) ، يرى حمد الجاسر أنها تنطبق على الصحراء الواقعة في الجنوب الشرقي من وادي الحفر إلى حدود الكويت .. وتشمل جانباً كبيراً من أرض الدبدبة الحالية المنطقة الشرقية ق ٢ / ٧١٠ .

(٦١) انظر : تهذيب اللغة ج٢ ، ص ١٦٦ ، وقد ذكر أنه شاهد جبلاً منيفاً بالسوده هو حبل عطاله .

(٦٢) نزل بها الأزهري وأشار إلى أنها تقابل عارض اليمامة (طويق) تهذيب اللغة ٢٥ ، ص ٣٩٢ وهي عارض مستطيل من الشمال إلى الجنوب يلامس السهول الشرقية للدهناء ويطل على الرياض عبد الله ابن خميس : معجم اليمامة ، الرياض ، ط٢، ١٤٠٠ هـ ، ص ١٤٥

(٦٣) عين فواره غزيرة المياه منها تسقى النخيل جواثاً وعسلج ، وبعض قرى هجر ، تهذيب اللغة ٥ / ١٠٨ .

(٦٤) تهذيب اللغة ، ٣ / ٢٠٩ ، وعينين : هي الجبيل الآن ، انظر : العبيد : الموسوعة الجغرافية لشرقيالبلاد العربية السعودية ، ج٢ ، ١٥٤ .

(٦٥) من رمال الدهناء تهذيب اللغة ج١٢ ، ص ٤١٣ .

(٦٦) تهذيب اللغة ، ١٢ / ١٩٠ ، واللصافة منهل معروف من مياه الصمان وهي من مياه مطير الان العبيد : الموسوعة الجغرافية لشرقيالبلاد السعودية ج٢ / ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٦٧) من منازل طريق الحج العراقي – على جاده البصره ، تهذيب اللغة ١٥ / ٢٦١٧ ، ويذكر العبودي أنها المترل الذي يلي الحفر من جهة القصيم وتقع إلى الشمال من هجرة أم العواقيل ، وتبعد عن الحفر ١٦٧ كم ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، ١٣٩٩ هـ ج١ ، ص ١٦٥ .

(٦٨) أشار الأزهري إلى أنها زكية عذبة الماء غزيرته ، تهذيب اللغة ٢ / ١٧٩ ، وهي أقدم قرى وادي الستار – (وادي المياه) حالياً – تقع شمال الصرار ، انظر : مجموعة من الباحثين الطريق إلى الرياض دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبد العزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ – ١٩٠٢ الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، ص ١٦٧ .

(٦٩) انظر : تهذيب الغة ٢ / ١٠٤ ، والينسوعه من منازل طريق مكة على جادة البصرة بين ماوية والنبـاج (الأسـياح) وتعرف الآن بـ (بريكة الأجردي) تابعة لإمارة قبه ، انظر محمد بن ناصر العبودي : المعجم الجغرافي للبلاد العربيـة السعودية بلاد القصيم ٢ / ١٧٤ .

(٧٠) مثل ملهم وقران (تهذيب اللغة ، ج ٦ ، ص ٣١٩) .

(٧١) انظر على سبيل المثال : تهذيب اللغـــة ، ج٤ ، ص ٦٧ ، ج٦ ، ص ٤١٨ ، ج١٠ ، ص ٥٤٦ ، ج ١١ ، ص ١٥٥ .

(٧٢) الأصبهاني : الحسن بن عبد الله الأصبهاني (ت ٣١٠ هـ) بلاد العرب ، تحقيق ، حمد الجاسر وصالح العلي ، الرياض منشورات دار اليمامة ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٤٤٣ ، انظر حمد الجاسر : جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة ط٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ط١ ، ص ٣٣٧ ، حيث يذكر أن بني سعد استوطنوا شـرقياالجزيرة العربية من رمال يبرين فبلاد الإحساء ، فوادي الستارين .

(٧٣) تهذيب اللغة ، ج٧ ، ص ٦٣٥ .

(٧٤) لم يأخذ الأزهري من عبد القيس وهي القبيلة المجـاورة لسعد بن زيد مناه ابن تميم لأنه لا يحتج بكلامهم لمخالطهم غير العرب من الهنود والفرس ، راجع ، السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١) : الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق أحمد الحمصي ، ومحمـود قاسـم ، (د ، م) جروس برس ، ط ١ ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٧٥) تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

(٧٦) تهذيب اللغة ، ٥ / ٢٦٥ ، ١٢ / ٣٥٦ .

(٧٧) إنباه الرواة على أنباه النحاه : ج ٤ ، ص ١٧٨ .

(٧٨) تهذيب اللغة ج ٢ ، ص ٣٨٥ ومعنى خرف النخل أي جني تمر النخل (تهذيب اللغة ، ج٧ ، ص ٣٤٨) .

(٧٩) تهذيب اللغة ١٢ / ٢٢٥ .

(٨٠) تهذيب اللغة ج ٤ م ، ص٤١٩ .

(٨١) تهذيب اللغة ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٨٢) تهذيب اللغة ، ج ٩ ، ص ٢٧٥ .

(٨٣) تهذيب اللغة ج ٤ ص ٤١٩ .

(٨٤) تهذيب اللغة ج ١ ، ص ٣٨٢ .

(٨٥) انظر : تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٢١٩ ، ج ١٤ ، ص ٢٢٤ .

(٨٦) بل ذكر الأزهري أن من يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً فهو شعوبي ، تهذيب اللغة ج ١ ، ص ٤٤٢ .

(٨٧) تهذيب اللغة ، ط ١ ، ص ٦ — ٧ .

(٨٨) تهذيب اللغة ، ج ٧ ، ص ٦٣٥ .

(٨٩) تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص ٣٣ ، ج ١٢ ، ص ١٢٩ .

(٩٠) عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية ، دمشق ، دار طلاس ، ١٣٨٦ هـ ، ص ١٠٨ .

(٩١) مقدمة تهذيب اللغة ، ج ١ ، ص ٧

(٩٢) من وظائف التصغير (التحبب وإظهار الود) إلى جانب الوظائف الأخرى ومنها (تقليل كمية الشيء) عباس حسن ، النحو الوافي ، القاهرة ، دار المعارف ط ٦ ، (د ، ت) ص ٦٨٣ ، ٦٨٤ .

(٩٣) مقدمة تهذيب اللغة ج ١ ، ص ٦ .

(٩٤) المنطقة الشرقية ، ق ١ ، ص ١٨ .

(٩٥) مقدمة تهذيب اللغة ، تحقيق ، أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٣٧٦ هـ ، ص ١٢ .

(٩٦) تهذيب اللغة ، ج ١ ، ص ٦ .

(٩٧) القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

(٩٨) تهذيب اللغة : ج ٤ ، ص ٤٦٦ .

(٩٩) تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ٢٨٨ .

(١٠٠) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ٩٢

(١٠١) **١٠١** – تهذيب اللغة ، ج ٤ ، ٤١٩

(١٠٢) **١٠٢** – تهذيب اللغة ، ج ١٣ ، ص ٣١٨ .

(١٠٣) ١٠٣ – تهذيب اللغة ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(١٠٤) ١٠٤ – تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ٣٦ .

(١٠٥) ١٠٥ – تهذيب اللغة ، ج ١ ، ص ٦ .

(١٠٦) ١٠٦ – تهذيب اللغة ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

(١٠٧) ١٠٧ – تهذيب اللغة ج ١٣ ص ٢٧ .

(١٠٨) ١٠٨ – مروج الذهب ومعادن الجوهر : القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٤ ، ١٣٨٤ هـ ، ج ١ ، ص ١٥ .

(١٠٩) مروج الذهب ، ١/ ٩٩

(١١٠) مروج الذهب ١ / ١٢ .

(١١١) حسين محمد فهيم : أدب الرحلات ، الكويت ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) سلسلة عالم المعرفة ، شوال ١٤٠٩ هـ ، ص ٦٤ .

(١١٢) تهذيب اللغة ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(١١٣) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ١٥٩ .

(١١٤) المستدرك على الأجزاء السابع والثامن والتاسع ، ص ٤٥ ، ورملة غزة .. شمال الاحساء ، الجاسر : المنطقة الشرقية ، ق ٣ ، ص ١٢٦٢ .

(١١٥) يذكر حمد الجاسر رحمه الله أن البيضاء واقعة بين منطقتين مختلفتي التكوين فالمنطقة الواقعة غربها تتكون من أرض منخفضة تكثر فيها الآكام والهضاب ومن أبرز معالمها الرمال البيضاء وكما يدخل فيها الآن بقيق والظهران والخبر والدمام والقطيف باستثناء سواحل هذه البلاد فهي تعرف باسم الخط (المنطقة الشرقية – البحرين قديماً ، القسم الأول ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(١١٦) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٤١٤ ، ج ١٢ ، ص ٨٨ .

(١١٧) تهذيب اللغة ، ١٣ / ٣١٨ ، والناطر في كلام أهل السواد ، الذي يحفظ الزرع ، المصدر نفسه ، والعرزال : سقيفة الناطور ٣ / ٣٤٥

(١١٨) تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ٤٢١ وخرشاف : مورد ماء تابع لبلدة الجبيل الآن يعرف بـ " خريشيف " عبد الرحمن العبيد : الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية ، السعودية ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(١١٩) تهذيب اللغة ، ج٤ ، ص ١٠٢

(١٢٠) تهذيب اللغة ج ٥ ، ص ١٠٨

(١٢١) تهذيب اللغة ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ – ٤٦٧ .

(١٢٢) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ١٦٨ .

(١٢٣) الركيه : بئر تحفر (تهذيب اللغة ، ١٠ / ٣٥٠) .

(١٢٤) تهذيب اللغة ، ٥ / ١٧ ، ١٣ / ٧٦ ، ومعنى (مسنوية) أي لا يستقي منها إلا بالسانية

(١٢٥) تهذيب اللغة ، ج ١٣ ، ص ٣٦٦ .

(١٢٦) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ٧٩ .

(١٢٧) الماء الشروب : ما لا عذوبة فيه ولا يشربه الناس إلا عند الضرورة وقد تشربه البهائم . تهذيب اللغة ج ١١ ، ص ٣٥٣ .

(١٢٨) تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ١٦١ .

(١٢٩) تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ص ١٢٨ .

(١٣٠) تهذيب اللغة ، ج ٧ ، ص ٤١ ، ويظهر أنها في وادي الستار حيث يكثر تغير مياه الآبار (حمد الجاسر : المنطقة الشرقية ، ق ٢ ، ص ٦١٤)

(١٣١) تهذيب اللغة ، ١٠ / ١٦٩

(١٣٢) القلت كالنقر في الجبل يستنقع فيها الماء ، وقلات الصمان نقر في رؤوس قفافها يملؤها ماء السماء في الشتاء ، انظر ، تهذيب اللغة ، ٩ / ٥٧

(١٣٣) انظر ، تهذيب اللغة ٤ / ٤١٩ .

(١٣٤) تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ٥٣٩

(١٣٥) تهذيب اللغة ٥ / ٢٩٢ .

(١٣٦) انظر على سبيل المثال تعريف مغيثه ومغيث ما وان ولينه ، تهذيب اللغة ، ج٨ ، ص ١٧٧ ، ج ١٥ ، ص ٣٧٠ يقول عن لينة " وبلينة ركايا عذبه نقرت في حجر رخو وماؤها عذب زلال " ج ٥ ، ص ٣٧٠ .

(١٣٧) يبرز الأزهري هذا الجانب المتعلق به فقد أشار إلى خرفه الرطب (تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ٣٨٥) كما يفهم من قوله بعد أن تناول تمر النخل واختلاف ظهوره .. (وإنما شرحت هذه المسألة .. لأن من لم يقم في النخل و لم يمارسها لم يقف على تفاوتها و لم يهتد لتفسيرها) يفهم منه أنه قد مارس أعمال ذات صلة بزراعة النخيل انظر .. الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، ص ٢٣٧ .

(١٣٨) تهذيب اللغة ٢ / ٤١٣ والرقة هي الأرض التي يصيبها المطر في الصفرية أو في القيظ فتنبت فتكون خضراء (تهذيب اللغة ٩ / ٢٩٢) .

(١٣٩) الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، الرياض ، دار البشائر ، ط١ ، ١٤١٩ ، ص ٢٣٧

(١٤٠) يذكر العلامة حمد الجاسر أن هذا النوع من التمر لا يعرف الآن في تمور الاحساء ويرى بعضهم أنه ما يسمى (الخلاص) لأنه أجود تمر معروف الآن ، المنطقة الشرقية ، القسم الثالث ، ص ١٢٩٠ — ١٢٩١ .

(١٤١) أي شديد الحلاوة وهذه التمرة أحمت حلاوة من هذه أي أصدق حلاوة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص ٢٦ .

(١٤٢) تهذيب اللغة ج ١ ، ص ٨٦ .

(١٤٣) تهذيب اللغة ج ٢ ، ص ٣٨٤ .

(١٤٤) تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

(١٤٥) تهذيب اللغة ، ج ٩ ، ص ٣١ .

(١٤٦) تهذيب اللغة ، ج ٣ ص ٣٨٢ .

(١٤٧) تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ٩٨ .

(١٤٨) تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ .

(١٤٩) الليث بن المظفر : حفيد والي خرسان الأموي (نصر بن سيار) كان كاتباً للبرامكة في بغداد وكان بينه وبين الخليل بن أحمد صداقة وقد صنف له كتاب العين ، والروايات متفاوته حول ما آل إليه كتاب العين ومدى ما للخليل فيه من نصيب ، انظر فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، مج ٨ ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(١٥٠) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٣٨٤ — ٣٨٥ ، ويذكر الأزهري راوية عن الحنظلي الفقيه أن الليث سمى لسانه الخليل وأنه إذا قال قال الخليل فإنما يعني لسان نفسه ، مقدمة تهذيب اللغة ، ج ١ ، ص ٢٩ ، وقد ناقش أراء الأزهري في الليث من المظفر رواية كتاب العين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي في مقدمة كتاب العين ، انظر : كتاب العين ، بغداد ، دار الرشيد وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠ م ، ج١ ، مقدمة المحققين ، ص ١٩—٢١.

(١٥١) الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ص ٢٣٧ ومما ذكره هنا أن تمر نخيل نجد يتأخر ظهوره ، ص ٢٣٦ .

(١٥٢) الشريف: عبد الرحمن صادق: جغرافية المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دار المريخ ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٦١ .

(١٥٣) حمد الجاسر : المنطقة الشرقية ، ق ٣ ، ص ١٠٠٣٤ – ١٠٠٥ .

(١٥٤) بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة ط١ ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٢٧٥ وعبارة الأصبهاني " وعظم بلاد تميم الوشم والدهناء والصمان " وقد عاش الأصبهاني في القرن الثالث ويقدر السيوطي وفاته بنحو عام ٣١٠ هـ . انظر : السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١) : بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، بيروت المكتبة العصرية ، ط١ ، ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ . حمد الجاسر : مقدمة كتاب بلاد العرب للأصفهاني ، ص ٤٨ ، ويعني ذلك كان معاصراً للأزهري .

(١٥٥) مقدمة تهذيب اللغة ، ط١ ، ص ٦ .

(١٥٦) الحبل من الرمال : المجتمع الكثير العالي (تهذيب اللغة ، ج٥ ، ص ٧٨ – ٧٩ .

(١٥٧) الشقيقة : قطع غلاظ بين كل حبلي رمل (تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ص ٢٤٩ .

(١٥٨) تهذيب اللغة ، ج٨ ، ص ٢٤٩ . .

(١٥٩) تهذيب اللغة ، ج ٤ ، ص ٤١٩ .

(١٦٠) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص ٢٣٨ .

(١٦١) انظر على سبيل المثال : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(١٦٢) عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، ج١ ، ص ٤١٥ . عبد الله بن يوسف الغنيم : " أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة " ، الكويت ، ١٩٧٦ ، نقلاً عن ، عبد الله بن ناصر الوليعي : أشكال الأرض في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، دراسة جيومورفولجية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ١١ ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٨٠ .

(١٦٣) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٨٦ .

(١٦٤) الخبراء : شجراء في بطن روضة يبقى فيها الماء إلى القيظ وفيها ينبت الخبر وهو شجر السدر والأرك وحواليها عشب كثير ، تهذيب اللغة ، ج٧ ، ص ٣٦٥ .

(١٦٥) انظر : عبد الله بن خميس : معجم اليمامة ، الرياض ١٤٠٠ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ ويذكر العبيد أن روضة معقلة تقع بالقرب من قرية أم عقلا بالصمان الموسوعة الجغرافية لشرقيالبلاد العربية السعودية ج ١ ، ص ٢١٧ .

(١٦٦) تهذيب اللغة ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(١٦٧) تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ١٢٨ .

(١٦٨) انظر : تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص ٣٣ – ٣٤ ، ج ١٢ ، ص ١٢٩ .

(١٦٩) أي أنه نبت من ماء السماء ، تهذيب اللغة ، ج ٤ ، ص ١٠٤ – ٤٥٥ .

(١٧٠) تهذيب اللغة ، ج ١٢ ، ص ١٢٩ ، وبنو حنظلة منسوبون إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ .

(١٧١) تهذيب اللغة ، ج ٩ ، ص ٥٧ .

(١٧٢) انظر على سبيل المثال ، تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص ٢٥٠ ، ج٤ ، ص ٤١١ ، ج ٧ ، ص ٢٥ – ٢٦ ومن الأماكن التي عرف بها في الصمان روضة الطويله ج١٤ ، ص ١٩ ، وخبراء العذق ج١ ، ص ٢١٢ ، والقرينـة ج٩ ، ص ٩٤ ، و الصلب ج١٦ ، ص ١٩٦ ، وروضة السهباء ، ج٦ ، ص ١٣٥ وروضة ضاحك ج ٤ ، ص ٩١ .

(١٧٣) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٣٧٣ والقرى : مجرى الماء إلى الرياض ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص ٢٧٠

(١٧٤) أي ارتحنا ، يقال أجمنا نفسك يوماً أو يومين أي أرحها ، انظر تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ٥١٧ ، ابن منظور : لسان العرب ، ج١٢ ، ص ١٠٦ .

(١٧٥) تهذيب اللغة ، ج٤ ، ص ٢٧٠ .

(١٧٦) تهذيب اللغة ، ج٤ ، ص ٤٦٧ .

(١٧٧) انظر : تهذيب اللغة ، ج ١٢ ، ص ١٩٦ ، الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ٢٣٥ .

(١٧٨) شاعر أموي أكثر شعره في الرجز ، ياسين الأيوبي ، معجم الشعراء في لسان العرب بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ٣٦٧

(١٧٩) تهذيب اللغة ، ج٨ ، ص ٩٨ .

(١٨٠) تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(١٨١) انظر على سبيل المثال : تهذيب اللغة ، ج٣ ، ص ٣٩٤ ، ج ١٥ ، ص ٨٧ – ٨٨ .

(١٨٢) تهذيب اللغة ، ج٦ ، ص ٥٦٨ .

(١٨٣) تهذيب اللغة ، ١ / ٢٠٢ .

(١٨٤) تهذيب اللغة ١ / ٣٧٣ .

(١٨٥) تهذيب اللغة ١ / ١٤٥

(١٨٦) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ١٩٩ .

(١٨٧) تهذيب اللغة ، ج ١١ ، ص ١٢٩ .

(١٨٨) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ١٥٨

(١٨٩) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٢١٨ .

(١٩٠) تهذيب اللغة ، ج٦ ، ص ٢٠٠

(١٩١) تهذيب اللغة ، ج٦ ، ص ٤٦٣ .

(١٩٢) تهذيب اللغة ، ج ٧ ، ص ١٥٨ .

(١٩٣) تهذيب اللغة ، ج ١٢ ، ص ٣٥٣ .

(١٩٤) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٢٥٥ .

(١٩٥) القاموس المحيط ، ص ٦٧٧ .

(١٩٦) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٢٥٥

(١٩٧) حياة الحيوان الكبرى / بيروت ، دار إحياء التراث ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٥٧ — ٤٩٩ .

(١٩٨) الأورق من كل شيء ما كان لونه لون الرماد ، والأورق الذي لونه لون السواد والغبرة .. تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ٢٩٠ .

(١٩٩) تهذيب اللغة ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٢٠٠) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ٢٠٠ .

(٢٠١) تهذيب اللغة ، ج ٥ ، ص ٢٢٦

(٢٠٢) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٢٥ ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، ص ٢٨٢ .

(٢٠٣) تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٣٤٧ ، ورمال عالج هي الرمال الممتدة من الدهناء حتى أطراف الحرة الشرقية الشمالية ، وهي صحراء النفوذ الكبير انظر ، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — شمال المملكة ق ٣ ، ص ٨٧٤ .

(٢٠٤) عبد الحميد الشلقاني : الأعراب الرواة ، صفحات في فلسفة اللغة وتاريخها ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ١٦٢ .

(٢٠٥) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) المزهر في علوم اللغة وآدابها ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٨ هـ ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٢٠٦) ملحوظات الأزهري عن البادية لا تقتصر على البوادي في شرقيالجزيرة العربية بما في ذلك بوادي الصمان والدهناء ، بل تشمل البوادي المحيطة بدروب الحجج ، إنما كانت إقامته بين أرياف وبوادي شرقيالجزيرة أطول بحيث منحته فرصة ملاحظة أحوال البادية عن كثب

(٢٠٧) تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ٢٠٣ .

(٢٠٨) تهذيب اللغة ، ج٤ ، ص ١٩٩ .

(٢٠٩) على سبيل المثال ، ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص ٥٨٧ .

(٢١٠) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٣٨٠ .

(٢١١) هو الماء الذي لا انقطاع له مثل ماء البئر وماء العين . تهذيب اللغة ج ١ ، ص ٨٧ .

(٢١٢) تهذيب اللغة ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

(٢١٣) تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٢١٤) تهذيب اللغة ، ج ٧ ، ص ٤٧٦ .

(٢١٥) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٢٥٥ .

(٢١٦) تهذيب اللغة ، ج٧ ، ص ٤٧٦ .

(٢١٧) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٧ .

(٢١٨) تهذيب اللغة ، ج١٠ ، ص١٥ .

(٢١٩) تهذيب اللغة ، ج١٢ ، ص ١٢ — ١٣ .

(٢٢٠) غرزت الناقة : ترك حلبها أو كسع ضرعها بماء بارد لينقطع لبنها ، أو تركت حلبة بين حلبتين تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ص ٤٦ (الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص ٦٦٧ .

(٢٢١) تهذيب اللغة ، ج ١٢ ، ص ٢٢٥ .

(٢٢٢) تهذيب اللغة ، ج ١١ ، ص ١٥٥ .

(٢٢٣) **٢٢٣** – مقدمة تاريخ بن خلدون (الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون) مراجعة سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٥٠ – ١٥١ .

(٢٢٤) **٢٢٤** – ص ٢٤٠ .

(٢٢٥) **٢٢٥** – تهذيب اللغة ، ط١ ، ص ٩٤ .

(٢٢٦) **٢٢٦** – تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ٦٧ .

(٢٢٧) **٢٢٧** – تهذيب اللغة ، ج١١ ، ٤٧٦ ، ج ١٥ ، ص ٢٢٣ .

(٢٢٨) **٢٢٨** – المصدر نفسه ج ٤ ، ص ٤٦٨ .

(٢٢٩) **٢٢٩** – تهذيب اللغة ، ج ٥ ، ص ٣٠ .

(٢٣٠) ٢٣٠ – تهذيب اللغة ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ، مثلاً .

(٢٣١) ٢٣١ – تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٢٥٥ ، مثلاً ويقول الأزهري : رأيت بالدهناء شبه عناق ذي الرمة مبنية بالحجارة ورأيت غلاماً من بني كليب بن يربوع يقول هذه عناق ذي الرمة لأنه ذكرها في شعره ، المصدر نفسه .

(٢٣٢) تهذيب اللغة ، ج٨ ، ص ٩٨ .

(٢٣٣) تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ص ٢٢٨ .

(٢٣٤) تهذيب اللغة ، ج٧ ، ص ٩٣ .

(٢٣٥) ربما لمس الأزهري تلك المسألة عندما يقول : الكفور .. القرى النائية عن الأنصار ومجتمع أهل العلم والمسلمين فالجهل عليهم أغلب وهم إلى البدع والأهواء المضلة أرسع .. تهذيب اللغة ، ج ١٠ ، ص ٢٠٠ .

(٢٣٦) تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ٢٦٠ .

(٢٣٧) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٢١٨ .

(٢٣٨) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ١٨٤ .

(٢٣٩) تهذيب اللغة ، ج ٣ ، ص ٤١٨ .

(٢٤٠) تهذيب اللغة ، ج ٩ ، ص ٤١٧ .

(٢٤١) تهذيب اللغة ، ١٥ / ٢٠٠ وقد ورد في المطبوع من الكتاب تصحيف ورل إلى وذل وهو خطأ نبه إليه العلامة الجاسر انظر : المنطقة الشرقية ، ق ١ / ص ٢١ .

(٢٤٢) المنطقة الشرقية ق ١ ، ص ٢١ .

(٢٤٣) انظر : حسين محمد فهيم : أدب الرحلات دراسة تحليلية من منظور أنثوجرافي ، ص ٤٩ .

(٢٤٤) معجم المنطقة الشرقية ، ق ١ ، ص ١٨ — ١٩ .

(٢٤٥) تهذيب اللغة ج٩ ، ص ٤٠٨ .

(٢٤٦) تهذيب اللغة ، ج١ ، ص ٣٣٥ .

(٢٤٧) تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ٢٥٤ .

(٢٤٨) تهذيب اللغة ، ج ١٢ ، ص ٣١٧

(٢٤٩) تهذيب اللغة ، ج ١١ ، ٣٦٤

(٢٥٠) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ٢٤٨ .

(٢٥١) حسن عثمان : منهج البحث التاريخي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٤ ، (د ، ت) ، ص ١٥٩ .

(٢٥٢) تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ١٩١ .

(٢٥٣) يحتمل أن يقصد المؤلف بني كليب بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة التميميون ، وهؤلاء لهم منازل بالصمان من قديم الدهر كما يذكر ، الأزهري تهذيب اللغة ، ج ١٢ ، ص ١٢٩ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٢٥ .

(٢٥٤) تهذيب اللغة ١ / ٣٧٦ ، وقد أشارت بعض المصادر إلى ما فعله أبو سعيد القرمطي بهجر، انظر عبد الجبار الهمذاني : تثبيت دلائل النبوة ، بيروت ، دار الكتب العربية ، ١٣٨٦ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٢٥٥) الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، ص ١٩٦ .

(٢٥٦) تهذيب اللغة ، ج ٥ ، ص ١٦٩ .

(٢٥٧) أبو علي هارون بن زكريا الهجري : التعليقات والنوادر دراسة ومختارات بترتيب حمد الجاسر ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ق ٣ ، ص ١٦٠٤ ، ١٦٣٩ ، ونقل ياقوت عن أبي منصور (الأزهري) أن يبرين : اسم قرية كثيرة النخيل والعيون العذبة بحذاء الاحساء ، وهي لبني سعد بالبحرين ، معجم البلدان ، تحقيق ، فريد الجندي بيروت ، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٠ هـ ، ج١ ، ص ٩٢ ، وهي اليوم من قرى بني مره بمحافظة الإحساء في المنطقة الشرقية (حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة (د ، ت) ، القسم الثاني ، ص ١٣٦٢ .

(٢٥٨) يبدوا أن بعض بطون قشير (العامرية الهوازانية) قد نزلت في يبرين أيضاً ، فقد ذكر الهمذاني أن القرامطة أخرجوا بني قشير من يبرين ، الحسن بن أحمد الهمذاني (٣٣٤) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، الرياض ، منشورات دار اليمامة ١٣٩٤ هـ ، ص ٣١١ .

(٢٥٩) ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ج ١٤ ، ص ٢٢٤ .

(٢٦٠) تهذيب اللغة ج ٥ ، ص ٤٣ .

(٢٦١) تهذيب اللغة ، ج ١٥ ، ص ٦٥٠ ، وفي الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي ، ص ٣٦٧

(٢٦٢) – تهذيب اللغة ، ج ١٤ ، ص ١٩١ .

(٢٦٣) – المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٧ هـ ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٢٦٤) – انظر ، ج٢ ، ص ٣٤٤ – ٣٤٧ .

(٢٦٥) انظر السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أب بكر (ت ٩١١ هـ) : كتاب الاقتراح في علم أصول النحو ، ص ٤٤ ، ويرى بعض الباحثين من المشتغلين بعلوم اللغة أن المدونات المعجمية العربية تجاهلت الكثير من المصطلحات الحضارية ويعود ذلك إلى القيود والحدود التي لا تعترف إلا بسليقة الفصاحة والسليقة لا تكون في نظرهم إلا مع البادية ، مجاهد : عبد الكريم : " مشكلات السماع وأثرها في التدوين المعجمي " القاهرة ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، م ٦١ ، العدد (١) (٢٠٠١) ص ١١٤ .

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) .

٢- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، (١٣٨٥ هـ) .

٣- الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)

٤- تهذيب اللغة (١٥) جزءاً، تحقيق مجموعة من المحققين أبرزهم عبد السلام محمد هارون، ومحمد علي النجار وعبد الكريم الغرباوي، وعبد الله درويش، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر (١٣٨٤ هـ)، (١٩٦٤ م) .

٥- المستدرك على الأجزاء (٧، ٨، ٩) تحقيق واستدراك رشيد عبد الرحمن العبيدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٥ م) .

٦- مقدمة تهذيب اللغة، تحقيق بسام الجابي، دمشق، دار البصائر، ط١ (١٤٠٥ هـ) .

٧- الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، تحقيق عبد المنعم طوعي بشناتي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩ هـ .

٨- القراءات وعلل النحويين فيها، دراسة وتحقيق، نوال إبراهيم الحلوة، الرياض، (د، أ)، ط١، (١٤١٢ هـ) .

٩- الأصبهاني : الحسن بن عبد الله (عاش في القرن الثالث)

١٠- بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة، ط ١، (١٣٨٨ هـ) .

١١- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) :

١٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تحقيق، محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب، ط١، (١٤١٣ هـ) .

١٣- ابن حزم : علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) :

١٤- جمهرة أنساب العرب، تحقيق : عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، (د، ت) .

١٥- الحموي : ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٢ هـ) :

١٦- معجم البلدان، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٠ هـ) .

١٧- معجم الأدباء، بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠ هـ .

١٨- ابن خلدون :عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) :

١٩- مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ هـ .

٢٠- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (١٩٦٨ م) .

٢١- الدميري : كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ) .

٢٢- حياة الحيوان الكبرى، بيروت، دار إحياء التراث، ط٢، (١٤٢٠ هـ)

٢٣- الذهبي : محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) :
٢٤- سير أعلام النبلاء، الجزء (١٦) تحقيق شعيب الأرنؤط وأكرم البوش، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٠، (١٤١٤هـ) .
٢٥- السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ) :
٢٦- طبقات الشافعية الكبرى، الجزء (٣) تحقيق عبد الفتاح الحلو و محمود محمد الطناحي،القاهرة، مطبعة عيسي الحلبي ١٣٨٥ هـ .
٢٧- السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ) كتاب الاقتراح في علم اصول النحو، تحقيق : أحمد سليم الحمصي و محمد احمد قاسم، جروس بروس،ط (١٩٨٨م) .
٢٨- المزهر في علوم اللغة وآدابها، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨ هـ .
٢٩- الفيروز ابادي مجد الدين محمد (ت٧١٧ هـ): القامـوس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٧،٢هـ .
٣٠- القرطبي : عريب بن سعد القرطبي :" صلة تاريخ الطبري " تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ملحق بالجزء الحادي عشر من تاريخ الطبري، بيروت، دار سويدان، (د، ت) .
٣١- القفطي: علي بن يوسف (٦٢٤ هـ): إنباه الرواة علي أنباه النحاة تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٤٠١هـ،
٣٢- المسعودي : علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب، تحقيق: مـحي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٥ م.
٣٣- التنبيه والأشراف بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٨١ م.
٣٤- المقريزي : احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ): اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تحقيق: جمال الدين الشيال،القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٦٧ هـ
٣٥- ابن منظور : جمال الدين بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط ٣(١٤١٤ هـ)
٣٦- الهمذاني: عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) تثبيت دلائل النبوة، بيروت، دار العربية، ١٣٨٦ هـ.
٣٧- الهجري: أبو علي هارون بن زكريا،التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، ط ١، ١٤١٣ هـ
٣٨- الأيوبي : ياسين : معجم الشعراء في لسان العرب، بيروت، دار المعلم للملايين، ط ١٩٨٠،١م.
٣٩- الجاسر : حمد : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديما) الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، ط١٣٩٩،١ هـ. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة) الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة .
٤٠- حسن : عباس : النحو الوافي، القاهرة، دار المعرف، ط٦، (د،ت)
٤١- ابن خميس : عبد الله بن محمد : معجم اليمامة، الرياض، (د، أ) ط٢، ١٤٠٠
٤٢- سزكين : فؤاد : تاريخ التراث العربي المجلد الثامن، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م

٤٣- الشريف: عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المريخ، ١٣٩.

٤٤- الشلقاني: عبد الحميد، الأعراب الرواة صفحات في فلسفة اللغة وتاريخها، القاهرة، دار المعارف (د، ت) .

٤٥- الصوفي: عبد اللطيف، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دمشق، دار طلاس، ط ١، ١٩٦٨ م

٤٦- العبيدي : عبد الرحمن رشيد، الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٧٣ م .

٤٧- العبيد: عبد الرحمن عبد الكريم، الموسوعة الجغرافية لشرقيالبلاد العربية السعودية، الدمام، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـــ .

٤٨- عثمان: حسن، منهج البحث التاريخي، القاهرة، دار المعارف، ط٤، (د، ت) .

٤٩- عطار: أحمد عبد الغفور ، الصحاح ومدارس المعجمات العربية، بيروت، ط٤، ١٤١٠ هـــ .

٥٠- فهيم : حسين محمد، أدب الرحلات دراسة تحليلية من منظور أنثوجرافي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٩ هـــ .

٥١- مجاهد: عبد الكريم، مشكلات السماع وأثرها في التدوين المعجمي، القاهرة، مجلة كلية الآداب، م (٦١) العدد (١) (٢٠٠١ م) .

٥٢- مصطفى : شاكر ، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، بيروت، دار العلم للملايين ط١، ١٩٩٣م.

٥٣- الوليعي : عبد الله بن ناصر، أشكال الأرض في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية دراسة جيومورفولوجية، الرياض، مجلة جامـــعة الإمام محمد بن ســـعود الإسلامية، العدد (١١)، ١٤١٥ هـــ .